

الباب الادي ع في علاج م ض القلب م اسد لاء الف عله

هذا الباب كالأساس والأصل لما بعده من الأبواب، فإن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس، فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب ثم تنبعث^(١) منها إلى الأعضاء، وأول ما تنال^(٢) القلب، وقد كان رسول الله ﷺ يقول في خطبة الحاجة: ((الحمد لله نستعينه ونستعديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا))^(٣)، وفي المسند والترمذي من حديث حصين بن عبيد^(٤) أن رسول الله ﷺ قال له: ((يا حصين كم تعبد

(١) (٣٦/أ).

(٢) في (ش): [ينال].

(٣) أخرجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أبو داود في كتاب النكاح باب في خطبة النكاح ح(٢١١٨)، والنسائي في كتاب النكاح باب ما يستحب من الكلام عند النكاح ح(٣٢٧٧)، والدارمي باب من كتاب النكاح باب في خطبة النكاح ح(٢٢٠٢)، والإمام أحمد ح(٣٧٢٠)، وعبد الرزاق ح(١٠٤٤٩)، والطيلوسي ح(٣٣٨)، وابن أبي شيبة ح(١٧٥٠٨)، وابن أبي عاصم في السنة ح(٢٥٥)، وأبو يعلى ح(٥٢٣٣)، وأبو عوانه ح(٤١٤٣)، والآجري في الشريعة ح(٤١٠)، والطبراني في الكبير (١٠٠٧٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٨/٧)، وغيرهم كلهم لم يذكروا قوله (نستعديه) و(سيئات أعمالنا)، وأخرجه مع قوله (سيئات أعمالنا) الترمذي في كتاب النكاح عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في خطبة النكاح ح(١١٠٥)، والنسائي كتاب الجمعة باب كيفية الخطبة ح(١٤٠٤)، وابن ماجه كتاب النكاح باب خطبة النكاح ح(١٨٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة ح(٢٥٨)، والآجري في الشريعة ح(٤٠٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة ح(٥٩٩)، وغيرهم، قال الترمذي: "حديث حسن"، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥٣١/٧)، وابن القيم في صيغ الحمد (٣٨)، والألباني صحيح أبي داود ح(١٨٤٤)، وله رحمته رسالة مستقلة في جمع طرق الحديث، ورواته من الصحابة، واسمها (خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه)، وأما قوله (نستعديه) فلم ترد في حديث ابن مسعود رضي الله عنه، بل في حديث ابن عباس كما أخرجه الشافعي في مسنده (٦٧)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ح(١٧٤١)، وذكر الألباني في الأحاديث الضعيفة ح(٦٥٢٥) منكر جداً بزيادة الاستهداء والاستنصار وغيره، تفرد إبراهيم بن محمد الأسلمي بها، وهو متروك.

(٤) في النسختين [حصين بن المنذر] وهو خطأ، لأن والد عمران بن حصين روي الحديث هو حصين بن عبيد، فالحديث عند الترمذي عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ لأبي: ((يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟... الحديث))، وحصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم أبو عمران الخزاعي، صحابي جليل، اختلف في كونه مات مسلماً أو مشركاً؟، والصواب أنه مات مسلماً - كما ذكر الطبراني في الكبير (١٠٣/١٨) وابن حجر في تهذيب التهذيب (٣٣١/٢) - بل كان إسلامه مع ابن عمران وابنته، روى عنه ابنه عمران، [أنظر: الطبقات الكبرى (٩/٧)، والثقات (٨٨/٣)، ومعرفة الصحابة (٨٣٦/٢)]، والغريب أن هذا الوهم في اسم

اليوم إلهاً؟^(١)) قال: سبعة ستة في الأرض وواحداً في السماء قال: ((فمن^(٢)) تعدُّ^(٣)) لرغبتك ورهبتك؟)) قال: الذي في السماء قال: ((أسلم حتى أعلمك كلمتين^(٤)) ينفعك الله بهما^(٥))) فأسلم فقال له: ((قل: اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي))^(٦).

والده تكرر عند المؤلف في الوابل الصيب (٢٣٣)، وطريق المهجرتين (٤٣٢)، ومدارج السالكين (٢٢٠/١)، والقصيدة النونية (مع شرحها) (٥٢٠/١).

- (١) سقط قوله: [اليوم إلهاً؟] من (ع)، وهي في الترمذي.
- (٢) في النسختين زيادة: [الذي]، وفي الترمذي: [فأيهم تعدُّ].
- (٣) في (ش): [تعبد].
- (٤) في (ع): [كلمات]، ولفظ الترمذي كالأصل: [كلمتين].
- (٥) في (ع): [بها]، وفي الترمذي: [ينفعانك].
- (٦) أخرجه من حديث عمران بن حصين الترمذي كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب ح (٣٤٨٣)، والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٣)، والدارمي في نقضه على المريسي (٢٢٧/١)، والشيباني في الآحاد والمثاني ح (٢٣٥٥)، والبخاري ح (٣٥٨٠)، والرويان ح (٨٥)، وابن خزيمة في التوحيد ح (١٧٧)، والطبراني في الأوسط ح (١٩٨٥)، وفي الكبير (٣٩٦)، واللالكائي ح (١١٨٤)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ح (٢١٩٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات ح (٨٩٤)، والأصبهاني في الحجة ح (٦٤)، والذهبي في العلو ح (٤٥)، قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه"، وقال البخاري: "وهذا الحديث لا نعلم أحداً يرويه عن النبي إلا عمران بن حصين وأبوه، وقد اختلفوا في إسناده، فقال ربعي بن حراش عن عمران بن حصين عن أبيه، وقال الحسن والعباس بن عبد الرحمن عن عمران أن النبي قال لحصين، وأحسب أن حديث عمران أن النبي قال لأبيه أصوب"، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي ح (٣٤٨٣)، وأما أحمد فأخرجه بسياق آخر نحوه ح (٢٠٠٠٦) عن ربعي بن حراش عن عمران بن حصين أو غيره أن حُصِيناً أو حَصِيناً أتى رسول الله ﷺ فقال ((يا محمد لعبد المطلب كان خيراً لقومه منك، كان يطعمهم الكبد والسنام وأنت تنحرهم، فقال له النبي ﷺ ما شاء الله أن يقول له، فقال له: ما تأمرني أن أقول؟ قال: قل اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على أرشد أمري، قال: فانطلق فأسلم الرجل ثم جاء، فقال: إني أتيتك فقلت لي قل: اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على أرشد أمري، فما أقول الآن؟ قال قل: اللهم اغفر لي ما أسرت وما أعلنت وما أخطأت وما عمدت وما علمت وما جهلت))، وقد أخرجه عبد بن حميد ح (٤٧٦)، الشيباني في الآحاد والمثاني ح (٢٣٥٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة ح (٩٩٣)، وفي الكبير ح (١٠٨٣٠)، وابن حبان ح (٨٩٩)، والحاكم في المستدرک ح (١٨٨٠)، قال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال الهيثمي (١٨١/١٠): "رواه أحمد وأحمد ورجاله رجال الصحيح"، وقال ابن حجر في الإصابة (٨٦/٢): "بإسناد صحيح"، وقال الألباني في تخريج رياض الصالحين ح (١٤٩٥): "سنده صحيح على شرط الشيخين".

وقد استعاذ النبي ﷺ من شرها عموماً، ومن شر ما يتولد منها من الأعمال، ومن شر ما يترتب على ذلك من المكاره والعقوبات، وجمع بين الاستعاذة من شر النفس وسيئات^(١) الأعمال، وفيه وجهان:

أحدهما: أنه من باب إضافة النوع إلى جنسه، أي^(٢) أعوذ بك من هذا النوع من الأعمال.

والثاني: أن المراد به عقوبات الأعمال التي تسوء صاحبها.

فعلى الأول: يكون قد استعاذ من صفة النفس وعملها، وعلى الثاني: يكون قد استعاذ من العقوبات وأسبابها، ويدخل العمل السيئ في شر النفس، فهل المعنى: ما [يسوؤني]^(٣) من جزاء عملي؟ أو^(٤) من عملي السيئ؟ وقد يترجح الأول بأن^(٥) الاستعاذة من العمل السيئ بعد وقوعه إنما هي استعاذة من جزائه وموجبه، وإلا فالموجود^(٦) لا يمكن رفعه بعينه^(٧).

وقد اتفق السالكون إلى الله على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد

(١) في (ع) زيادة (من): [ومن سيئات].

(٢) في (ش): [إني].

(٣) في الأصل [يسري]، والصواب ما أثبتته من النسختين، لأن الحديث عن العمل السيئ.

(٤) في الأصل [و]، والصواب ما أثبتته من النسختين، للتخيير الواضح في السياق.

(٥) في النسختين: [فإن].

(٦) في (ع): [فالموجب]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [فالموجود] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٧) ذكر الخلاف في هذه المسألة ابن القيم في بدائع الفوائد (٤٣٤/٢-٤٣٥) وكان قرر في البداية أن الشر المستعاذ منه نوعان: نوع موجود يُطلب رفعه، ونوع معدوم يُطلب بقاءه على العدم، ثم ذكر الخلاف والقولين في المسألة، وبيان كل قول، ثم قال: "والقولان محتلمان، فتأمل أيهما أليق بالحديث وأولى به، فإن مع كل واحد منهما نوعاً من الترجيح، فيترجح الأول بأن منشأ الأعمال السيئة من شر النفس، فشر النفس يولد الأعمال السيئة، فاستعاذ من صفة النفس، ومن الأعمال التي تحدث عن تلك الصفة، وهذان جماع الشر وأسباب كل ألم، فمتى عوفي منها عوفي من الشر بحذافيره، ويطرح الثاني بأن سيئات الأعمال هي العقوبات التي تسوء العامل، وأسبابها شر النفس، فاستعاذ من العقوبات والآلام وأسبابها، والقولان في الحقيقة متلازمان، والاستعاذة من أحدهما تستلزم الاستعاذة من الآخر".

تركها وإماتتها^(١). بمخالفتها والظفر بها^(٢).

فإن الناس على قسمين: قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أوامرها، وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم.

كما قال بعض العارفين: "انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم"^(٣)، فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ وَآثَرَ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ﴾/ (٣٨) ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٣٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ۖ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ

﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ﴿[سورة النازعات: ٣٧-٤١].

فالنفس تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، والرب تعالى يدعو العبد^(٥) إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى، والقلب بين الداعيين، يميل إلى هذا الداعي مرة، وإلى هذا مرة، وهذا موضع المحنة والابتلاء.

(١) في (ع): [إماتتها وتركها] بالتقديم والتأخير.

(٢) نقل السلمي في طبقات الصوفية (٣٥٣) والقشيري في رسالته (٨٣) عن أبي بكر الطمستاني قوله: "النعمة العظمى الخروج من النفس، لأن النفس أعظم حجاب بينك وبين الله"، وقال الكلاباذري في بحر الفوائد (٧١): "والإعراض عن النفس ترك حظوظها، وحظوظ النفس هو الطعام والشراب والرفث إلى النساء، فمن ترك هذه الأشياء فقد ترك حظوظ النفس وشهواتها ولذاتها، ومن ترك ذلك فقد أعرض عن نفسه، ومن أعرض عن نفسه ابتغاء وجه الله لم يبق بينه وبين الله حجاب، لأن الحجب ثلاثة: الخلق، والدنيا، والنفس، فالخلق والدنيا إنما يحجبان إذا كانا لحظ النفس، فمن أعرض عن نفسه فقد أعرض عن الدنيا والخلق، فحصل الصوم إعراضا عن النفس، والإعراض عنها وصول إلى الله"، وقال الغزالي في الإحياء (٣٥٨/٤): "فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق، ثم من النظر إلى النفس، فإن الملتفت إلى نفسه محبوب عن الله تعالى، وشغله بنفسه حجاب له، فليس بين القلب وبين الله حجاب بعد وتخلل حائل، وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسه، وأعظم الحجب شغل النفس"، وقال ابن القيم في المدارج (٧/٢): "وأیضا فإنه من قواعد القوم المجمع عليها بينهم، التي اتفقت كلمة أولهم وآخرهم ومحققهم ومبطلهم عليها: أن النفس حجاب بين العبد وبين الله، وأنه لا يصل إلى الله حتى يقطع هذا الحجاب"، وانظر: (٦٥/٣).

(٣) لم أقف على قائله، وذكره القشيري في الرسالة (١٤٤) بلفظ: "وقال بعض المشايخ: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم، فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا"، كما نقله ابن القيم في المدارج (٤٣٦/٢).

(٤) (٣٦/ب).

(٥) في (ع): [عبد].

وقد وصف سبحانه النفس في القرآن بثلاث^(١) صفات: المطمئنة، والأماراة بالسوء، واللوامة، فاحتلف الناس: هل النفس واحدة وهذه أوصاف لها؟ أم للعبد ثلاث أنفس: نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أماراة؟ **والأول** قول الفقهاء والمتكلمين وجمهور أهل التفسير وقول محققي الصوفية، **والثاني** قول كثير من أهل التصوف^(٢).

والتحقيق: أنه لا نزاع بين الفريقين، فإنها واحدة باعتبار ذاتها، و[ثلاث]^(٣) باعتبار صفاتها، فإذا اعتبرت بنفسها فهي واحدة، وإن اعتبرت مع كل صفة دون الأخرى فهي متعددة^(٤)، وما أظنهم يقولون إن لكل أحد [ثلاث]^(٥) أنفس، كل نفس قائمة بذاتها مساوية للأخرى في الحد والحقيقة، وأنه إذا قبض العبد قبضت له [ثلاث]^(٦) أنفس كل واحدة مستقلة بنفسها^(٧).

وحيث ذكر سبحانه النفس وأضافها إلى صاحبها فإنما ذكرها بلفظ الإفراد، وهكذا في سائر الأحاديث، ولم يجيء في موضع واحد: (نفوسك)، و(نفوسه)، ولا (أنفسك)، و(أنفسه)، وإنما جاءت مجموعة عند إرادة العموم كقوله ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [سورة التكويد: ٧]، أو عند إضافتها إلى الجمع كقوله ((إنما أنفسنا بيد الله))^(٨)، ولو كانت في

(١) في (ش): [ثلاث].

(٢) ممن ذكر الخلاف الرازي في تفسيره (١٢٦/١٨)، والخازن في تفسيره (٢٩٠/٣) ونسب الأول لأكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم، وقال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٩٤/٩): "وقد قال طائفة من المتفلسفة الأطباء: إن النفوس ثلاثة: نباتية، محلها الكبد، وحيوانية، محلها القلب، وناطقة، محلها الدماغ، وهذا إن أرادوا به أنها ثلاث قوى تتعلق بهذه الأعضاء فهذا مُسلم، وإن أرادوا أنها ثلاثة أعيان قائمة بأنفسها فهذا غلط بين".

(٣) في الأصل و(ش): [ثلاثة]، والصواب ما أثبتته من (ع)، لأن النفس مؤنث، والعدد يخالف المعدود.

(٤) ذلك أن النفس تطلق ويراد بها الذات، وتطلق ويراد بها الصفات [انظر: معارج القدس (١٥) للغزالي].

(٥) في الأصل و(ش): [ثلاثة]، والصواب ما أثبتته من (ع)، لأن النفس مؤنث، والعدد يخالف المعدود.

(٦) في الأصل و(ش): [ثلاثة]، والصواب ما أثبتته من (ع)، لأن النفس مؤنث، والعدد يخالف المعدود.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى، والروح (٢٢٠)، ومدارج السالكين (٢٤٧/٣).

(٨) أخرجه -موقوفاً على عليٍّ عليه السلام- البخاري في كتاب الكسوف باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ح (١٠٧٥)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ح (٧٧٥)، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ((أن رسول الله ﷺ طرده فاطمة بنت النبي عليه السلام ليلة فقال: ألا تصلين!، فقلت: يا رسول الله أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم

الإنسان [ثلاث] (١) أنفس لجاءت مجموعة إذا أضيفت إليه ولو في موضع واحد (٢). فالنفس إذا سكنت إلى الله واطمأنت بذكره وأنابت إليه واشتأقت إلى لقائه وأنست بقربه فهي مطمئنة، وهي التي يقال لها عند الموافقة (٣): ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجَى إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً [سورة الفجر: ٢٧-٢٨] قال ابن عباس: "﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾" يقول: المصدقة (٤)، وقال قتادة: "هو المؤمن اطمأنت نفسه إلى ما وعد الله" (٥)، وقال الحسن: "المطمئنة بما قال الله، والمصدقة بما قال" (٦)، وقال مجاهد: "هي المنية المحببة" (٧) التي أيقنت أن الله ربها، وضربت جأشاً (٨) لأمره وطاعته، وأيقنت بلقائه (٩)، وحققة الطمأنينة:

يرجع إلى شيئاً، ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَشَيْءٍ جَدَلًا﴾ [سورة الكهف: ٥٤].

- (١) في الأصل و(ش): [ثلاثة]، والصواب ما أثبتته من (ع)، لأن النفس مؤنث، والعدد يخالف المعدود.
- (٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (٧١٠-٧١٤)، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٥٠٦/٦-٥٠٧).
- (٣) في النسختين: [الوفاء].
- (٤) أخرجه الطبري (١٩٠/٣٠)،
- (٥) أخرجه الطبري (١٩٠/٣٠)، وابن أبي حاتم (٣٤٣١/١٠).
- (٦) أخرجه الصنعاني في تفسيره (٣٧٢/٣)، والطبري (١٩٠/٣٠) عن الحسن وقتادة أيضاً، وأخرج البخاري (١٨٨٧/٤) تعليقاً وابن أبي حاتم (٣٤٣٠/١٠-٣٤٣١) وأبو نعيم في الحلية (٣٠٠/٦) عن الحسن قال: "إذا أراد الله عز وجل قبضها اطمأنت إلى الله واطمأن الله إليها، ورضيت عن الله ورضي الله عنها، فأمر بقبض روحها، وأدخلها الله الجنة، وجعله من عباده الصالحين".
- (٧) (٣٧/أ).
- (٨) قال الأزهري (٩٣/١١): "أي قرّت يقيناً واطمأنت، كما يضرب البعير بصدره الأرض إذا برك وسكن"، وقال ابن الجوزي في غريب الحديث (١٥٦/١): "أي اطمأنت إلى اليقين"، وفي النسختين: [جانباً]، وهو خطأ.
- (٩) انظر: تفسير مجاهد (٧٥٧/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٣٠/١٠) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٣/٣)، كما أخرج الطبري (١٩٠/٣٠-١٩١) عدداً من الروايات عن مجاهد كلها قريبة مما ذكر ابن القيم، وعدّ الطبري قول مجاهد قولاً آخر غير قول ابن عباس وقتادة والحسن، إذ قولهم فسر المطمئنة بالمصدقة بوعده الله، وقول مجاهد فسرّها بالسلّمة لله ولأمره والمصدقة بأن الله تعالى ربها، قال ابن القيم في الروح (٢٢٣): "فكلام السلف في المطمئنة يدور على هذين الأصلين، طمأنينة العلم والإيمان، وطمأنينة الإرادة والعمل"، كما أخرج الدولاوي

السكون والاستقرار^(١)، فهي التي قد سكنت إلى ربها وطاعته وأمره وذكره، لم تسكن إلى سواه، فقد اطمأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطمأنت إلى أمره ونهيته وخبره، واطمأنت إلى لقائه ووعدته، واطمأنت إلى التصديق بحقائق أسمائه وصفاته، واطمأنت إلى الرضا به ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايته وحسبه وضمائه، فاطمأنت بأنه وحده ربها وإلهها ومعبودها ومليكها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفة عين.

وإذا كانت بضد ذلك فهي أمارة بالسوء، تأمر صاحبها بما [تَهْوَاهُ]^(٢): من شهوات الغي وإتباع الباطل، فهي مأوى^(٣) كل سوء، إن أطاعها قادت به إلى كل قبيح وكل مكروه، وقد أخبر سبحانه أنها أمارة بالسوء، ولم يقل أمارة لكثرة ذلك منها وأنه عادتها ودأبها^(٤)، إلا إذا رحمها الله وجعلها زاكية تأمر صاحبها بالخير فذلك من رحمة الله لا منها، فإنها بذاتها أمارة بالسوء، لأنها خلقت في الأصل جاهلة ظالمة^(٥)، والعلم والعدل^(٦) طراً^(٧) عليها بإلهام ربها وفطرها لها ذلك، فإذا لم يلهمها رشدًا بقيت على ظلمها وجهلها فلم تكن إلا أمارة^(٨). بموجب^(٩) الجهل والظلم، فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس

في الكنى والأسماء برقم (٥١٥) وابن بطّة في الإبانة (القدر) برقم (١٧٣١) والنعلبي (٢٠٣/١٠) والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٣٨٤/١) عنه قوله: "الراضية بقضاء الله، التي علمت أن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وأن ما أخطأها لم يكن ليصيبها".

(١) قال ابن القيم في الصواعق المرسلة (٧٤١/٢): "إن الطمأنينة هي سكون القلب إلى الشيء ووثوقه به، وهذا لا يكون إلا مع اليقين بل هو اليقين بعينه"، وانظر: تفسير الخازن (٥٩٢/١)، والمدارج (٥١٢/٢).

(٢) في الأصل: [يهواه]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم الكلام، فهي التي تهوى، وإلا لم يكن لأمرها معنى.

(٣) في (ش): [تأوي].

(٤) انظر: تفسير السمرقندي (١٩٧/٢).

(٥) في (ع) زيادة: [إلا من رحمته].

(٦) في (ع): [والعدل والعلم] بالتقديم والتأخير.

(٧) في النسختين: [طاراً].

(٨) في (ع): [أمارة إلا] بالتقديم والتأخير.

(٩) في (ش): [لموجب].

واحدة.

فإذا أراد سبحانه بها خيراً جعل فيها ما تزكو به وتصلح: من الإرادات والتصورات، وإذا لم يرد بها ذلك تركها على حالها التي خلقت عليها من الجهل والظلم، وسبب الظلم: إما جهل وإما حاجة^(١)، وهي في الأصل جاهلة والحاجة لازمة لها، فلذلك كان أمرها بالسوء [أمرًا لازماً]^(٢) لها إن لم تدركها رحمة الله وفضله.

وبهذا تعلم^(٣) أن ضرورة العبد إلى ربه فوق كل ضرورة، ولا [تشبهها]^(٤) ضرورة تقاس بها، فإنه إن أمسك عنه رحمته وتوفيقه وهدايته طرفة عين خسر وهلك.

ف

وأما اللوامة فاختلف في اشتقاق هذه اللفظة هل هو من التلوم وهو التلون والتردد أو من اللوم؟ وعبارات/^(٥) السلف تدور على هذين المعنيين، قال سعيد بن جبير: "قلت لابن عباس: ما اللوامة؟ قال: هي النفس اللؤوم"^(٦)، وقال مجاهد: "هي التي تندم على ما فات وتلوم عليه"^(٧)، وقال قتادة: "هي الفاجرة"^(٨)، وقال عكرمة: "تلوم على الخير والشر"^(٩)،

(١) ولهذا يُزهر الله تعالى عن الظلم، قال ابن القيم في زاد المعاد (٢٠٧/٤): "فإن الظلم سببه حاجة الظالم أو جهله أو سفهه، فيستحيل صدوره ممن هو بكل شيء عليم، ومن هو غني عن كل شيء وكل شيء فقير إليه، ومن هو أحكم الحاكمين، فلا تخرج ذرة من مقدوراته عن حكمته وحمده، كما لم تخرج عن قدرته ومشيتته، فحكمته نافذة حيث نفذت مشيئة وقدرته".

(٢) في الأصل: [أمر لازم]، وهو لحنٌ، والصواب ما أثبتته من (ش)، وفي (ع): [بالسوء لازماً].

(٣) في النسختين: [يُعلم].

(٤) في الأصل و(ش): [يشبهها]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٥) (٣٧/ب).

(٦) أخرجه الطبري (١٧٤/٢٩)، والحاكم في المستدرک برقم (٣٨٧٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأخرج الطبري أيضاً (١٧٥/٢٩) من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: "المذمومة".

(٧) أخرجه الطبري (١٧٤/٢٩).

(٨) أخرجه الطبري (١٧٥/٢٩).

(٩) أخرجه الطبري (١٧٤/٢٩)، وابن أبي حاتم (٣٣٨٦/١٠)، كما أخرجه الطبري (١٧٤/٢٩) باللفظ نفسه

عن سعيد بن جبير.

وقال عطاء عن ابن عباس: "كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة، يلوم^(١) المحسن نفسه أن لا يكون ازداد إحساناً ويلوم^(٢) المسيء نفسه أن لا يكون رجع عن إساءته"^(٣)، وقال الحسن: "إن المؤمن والله ما تراه إلا يلوم نفسه على كل حالاته، يستقصرها في كل ما يفعل، فيندم ويلوم نفسه، وإن الفاجر يمضي^(٤) قُدماً لا يعاتب نفسه"^(٥)، فهذه عبارات من ذهب إلى أنها من اللوم.

وأما من جعلها من التلوم فلكثرة تردها وتلومها، وأنها لا تستقر على حال واحدة، والأول أظهر^(٦)، فإن هذا المعنى لو أريد لقليل: المتلومة، كما يقال: المتلونة والمترددة، ولكن هو من لوازم القول الأول، فإنها لتلومها وعدم ثباتها تفعل الشيء ثم تلوم عليه، فالتلوم من لوازم اللوم^(٧).

(١) في (ع): [تلوم].

(٢) في (ع): [وتلوم].

(٣) ذكره السمرقندي (٤٩٨/٣) في تفسيره، والرازي (١٩٠/٣٠) في تفسيره عن ابن عباس بلفظ: "ما من نفس برة وفاجرة إلا تلوم نفسها، إن كانت محسنة تقول: يا ليتني زدت إحساناً، وإن كانت سيئة تقول: يا ليتني تركت"، هذا لفظ السمرقندي كما نسبه أيضاً إلى عمر رضي الله عنه، وذكره ابن القيم في التبيين في أقسام القرآن (١١) بنفس لفظه هنا.

(٤) في النسختين: [ليمضي].

(٥) لم أقف عليه بهذا اللفظ إلا عند ابن القيم وذكره أيضاً في التبيين في أقسام القرآن (١١)، وسيذكر ابن القيم عن الحسن قريباً منه، ولعل ابن القيم ذكر قول الحسن بمعناه، وهكذا فعل لما ذكره في الروح (٢٢٥) قال: "أو نحو هذا من الكلام"، وانظر: مدارج السالكين (٧/٢).

(٦) وهو اختيار الطبري (١٧٥/٢٩) حيث قال: "وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائلها فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشر، وتندم على ما فات"، ونقل ابن القيم في التبيين في أقسام القرآن (١١) ترجيح شيخ الإسلام كون النفس هنا عامة تشمل المؤمن والكافر، البر والفاجر، لأن كل نفس إنسان لوامة، وهو في مجموع الفتاوى (٢٦٤/٤)، ونسبه ابن القيم لابن عباس، والفراء، وانظره في معاني القرآن (٢٠٨/٣)، واختاره الواحدي في الوجيز (١١٥٣/٢)، وهو ظاهر كلام ابن عطية (٤٠٢/٥)، وقيل المراد بها نفس الكافر وهو قول قتادة، واختاره مقاتل في تفسيره (٤٢١/٣)، وقيل المراد بها نفس المؤمن وهو قول الحسن، واختاره السمعاني (١٠٢/٦).

(٧) انظر: الروح (٢٢٦)، والتبيين في أقسام القرآن (١٢)، وذكر الأقوال بلا ترجيح أيضاً في مدارج السالكين (٧-٦/٢).

والنفس قد تكون تارة أمارة، وتارة لوامة، وتارة مطمئنة^(١)، بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل فيها^(٢) هذا وهذا وهذا^(٣)، والحكم للغالب عليها من أحوالها، فكونها مطمئنة وصف مدح لها، وكونها أمارة بالسوء وصف ذم لها، وكونها لوامة تنقسم^(٤) إلى المدح والذم بحسب ما تلوم عليه^(٥).

والمقصود: ذكر علاج مرض القلب باستيلاء النفس الأمارة عليه وله علاجان: محاسبتها ومخالفتها، وهلاك القلب من إهمال محاسبتها ومن موافقتها وأتباع هواها، وفي الحديث الذي رواه أحمد وغيره من حديث شداد بن أوس^(٦) قال: قال رسول الله ﷺ: ((الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله))^(٧) دان نفسه: أي حاسبها^(٨).

(١) انظر: الروح (٢٦٧).

(٢) في (ع): [منها].

(٣) سقط قوله: [وهذا] من (ع).

(٤) في (ع): [ينقسم].

(٥) قال ابن القيم في الروح (٢٢٦) مبيناً ذلك: "ولكن اللوامة نوعان: لوامة ملومة، وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته، ولوامة غير ملومة، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة".

(٦) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام من بني النجار، يكنى أبا يعلى، صحابي جليل، وكذا والده، عمه حسان بن ثابت رضي الله عنه، روى عن كعب الأحبار، وروى عنه ابنه يعلى وضمرة بن حبيب، كان صاحب عبادة واجتهاد، نزل الشام ثم تحول إلى فلسطين فنزل بها وتوفي سنة (٥٨) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٤٠١/٧)، الطبقات (٨٨) لابن خياط، والجرح والتعديل (٣٢٨/٤)].

(٧) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ ح (٢٤٥٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له ح (٤٢٦٠)، والإمام أحمد في المسند ح (١٧١٦٤)، وفي الزهد (٣٨)، وابن المبارك في الزهد ح (١٧١)، والطيالسي (١١٢٢)، والبزار (٣٤٨٩)، والطبراني في الصغير ح (٨٦٣)، والكبير ح (٧١٤١)، والحاكم ح (١٩١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٦٧/١)، والشهاب ح (١٨٥)، والبيهقي في الشعب ح (١٠٥٤٦)، وفي السنن الكبرى ح (٦٣٠٦)، والخطيب في تاريخ بغداد (٥٠/١٢)، والبغوي في شرح السنة ح (٤١١٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٨٦/٦١)، قال الترمذي: "حديث حسن"، وقال البزار: "وهذا الكلام لا نعلمه يروى إلا عن شداد بن أوس عن النبي، ولا نعلم له طريقاً غير هذا الطريق"، وقال الحاكم: "صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، وقال البغوي: "حديث حسن"، وتعقب الذهبي الحاكم في تصحيحه بأن فيه أبا بكر بن أبي مريم وهو واهٍ، وضعفه الألباني في الضعيفة ح (٥٣١٩).

وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ((حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة: ١٨]) (٢).

وذكر أيضاً عن الحسن (٣) قال: "لا يُلقى (٤) المؤمن إلا يحاسب نفسه: ما (٥) أردت بكلمي (٦) ما أردت بأكلمي (٧) ما أردت بشربي (٨) والفاجر يمضي قُدماً قُدماً (٩) لا يحاسب نفسه" (١٠).

وقال قتادة في قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨]: "أضاع نفسه

(١) ذكره أبو عبيد في غريب الحديث (٣/١٣٤-١٣٦) قولاً في معنى قوله ((دان))، وذكر قولاً آخر وهو أن معناه: أذلها واستعبدها، واختاره ابن الأنباري في الزاهر (١/٢٧٩)، والقراقي في الذخيرة (٨/١٥٧)، واختار الأول الترمذي حيث قال بعد رواية الحديث: "ومعنى قوله: ((من دان نفسه)) يقول: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة"، كما اختاره الغزالي في الإحياء (٤/٣٦٩)، والرازي في تفسيره (١٦/٤٣)، والخازن (٢/٣٠٥)، وانظر القولين في: شرح السنة (١٤/٣٠٩) للبخاري، وغريب الحديث (١/٣٥٥) لابن الجوزي، والنهية في غريب الحديث (٢/١٤٨)، ولسان العرب (١٣/١٦٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (٣٠٦)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٢)، والإمام أحمد في الزهد (١٢٠)، وابن أبي شيبة برقم (٣٤٤٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (١/٥٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤/٣١٤)، وابن الجوزي في ذم الهوى (٤٠)، وقال الترمذي: "ويروى عن عمر" ثم ذكره، وفي سنده انقطاع لأن ثابت بن الحجاج لم يسمع من عمر، وهو الذي لم يسمه جعفر بن الزبير عند ابن أبي شيبة، وأما رواية ابن المبارك فهي بلاغ عن عمر، وانظر: الضعيفة ح (١٢٠١) للألباني.

(٣) (٣٨/أ).

(٤) في (ع): [تلقى]، وفي (ش) مهملة بدون نقط.

(٥) في (ع): [ماذا].

(٦) في (ع): [تعملين]، وكتب ما جاء هنا في الأصل ومصادر تخريجه: [بكلمي] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٧) في (ع): [تأكلين]، وكتب ما جاء هنا في الأصل ومصادر تخريجه: [بأكلمي] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٨) في (ع): [تشربين]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [بكلمي] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٩) في حاشية (ش) كُتِبَ تفسير هذه الكلمة نصه: [أي لا يلوي على شيء].

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٢٨١)، والشجري في الأمالي (١/٣٨٨)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم

وغبن، مع ذلك تراه حافظاً لماله مضيعاً لدينه" (١).

وقال الحسن: "إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته" (٢).

وقال ميمون بن مهران (٣): "لا يكون العبد تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه" (٤)، ولهذا قيل: النفس كالشريك الخوان إن لم تحاسبه ذهب بمالك. وقال ميمون بن مهران أيضاً: " (٥) التقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان عاصٍ (٦) ومن شريكٍ شحيحٍ" (٧).

وذكر الإمام أحمد عن وهب قال: "مكتوب في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها مع إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذاتها

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٥) بلفظ: "أضاع أكبر الضيعة، أضاع نفسه وعسى مع ذلك أن تجده حافظاً لماله مضيعاً لدينه".

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (١١٠٣)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٦)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم برقم (١٩١٧)، وأبو نعيم في الحلية (١٤٥/٢-١٤٦).

(٣) ميمون بن مهران يكنى أبا أيوب، ولد سنة (٤٠هـ)، كان مملوكاً لامرأة من الأزديين من ثمالة يقال لها أم نمر فأعتقته، أقام بالكوفة ثم انتقل منها إلى الجزيرة فولاه عمر بن عبد العزيز على خراجها، كان ثقة كثير الحديث، روى عن ابن عمر، وابن عباس، وأم الدرداء، وروى عنه ابنه عمرو، والأعمش، توفي سنة (١١٧هـ) [انظر: الطبقات الكبرى (٤٧٧/٧)، والطبقات (٣١٩) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٣٣٨/٧)].

(٤) أخرجه وكيع في الزهد برقم (٢٣٩)، وابن أبي شيبة برقم (٣٥٦٢٥)، وهناد في الزهد برقم (١٢٢٨)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٧)، وأبو نعيم في الحلية (٨٩/٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٦١) من طريق ابن أبي الدنيا، وابن الجوزي في ذم الهوى (٤٣)، وذكره الترمذي في سننه بعد ح (٢٤٥٩) بصيغة التمرريض فقال: ويروى عن ميمون فذكره.

(٥) في النسختين زيادة: [إن].

(٦) أي صعب شديد، ومنه استعصى الشيء إذا اشتد، انظر: تهذيب اللغة (٥٢/٣)، ومعجم مقاييس اللغة (٣٣٥/٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢١٨/٢).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٩)، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٥٣/٦١)، وجاء في تفسير الثعلبي (١٤٤/١): "السلطان الجائر"، وفي إحياء علوم الدين (٤٠٥/٤): "سلطان غاشم"،

فيما يحل ويجمّل، فإن في^(١) هذه الساعة عوناً^(٢) على تلك الساعات وإجمالاً^(٣) للقلوب^(٤)، وقد روي هذا مرفوعاً من كلام النبي ﷺ رواه أبو حاتم ابن حبان^(٥) وغيره. وكان الأحنف بن قيس^(٦) يجيء إلى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول: "حس يا حنيف، ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟ ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟"^(٧).

(١) سقط قوله: [في] من (ش).

(٢) في (ش): [عون].

(٣) في (ش): [إجمالاً].

(٤) لم أقف عليه في كتب الإمام أحمد، ولم أجد من نسبه للإمام سوى السيوطي في الدر المنثور (٣٠٣/٥)، وأخرجه عن وهب ابن المبارك في الزهد (٣١٣)، وعبدالرزاق (١٩٧٩٠)، وهناد في الزهد برقم (١٢٢٦)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (١٢)، وفي العقل وفضله برقم (٣٠)، والخطابي في العزلة (٩٩)، والبيهقي في الشعب (٤٦٧٧)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٤٨٨/١)، وتاريخ بغداد (١٥٤/٣).

(٥) صحيح ابن حبان (٧٦/٢) من حديث أبي ذر الطويل في ذكر عدد الأنبياء، كما أخرجه الطبري في تاريخه (١٨٧/١)، والحاكم في المستدرک ح (٤١٦٦)، وأبو نعيم في الحلية (١٨/١)، والشهاب في مسنده ح (٦٥١)، والشجري في الأمالي (٢٦٩/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٧٥/٢٣)، وابن الجوزي في المنتظم (١٤٣/٢)، قال المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٢/٣): "انفرد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه، وهو حديث طويل في أوله ذكر الأنبياء عليهم السلام، ذكرت منه هذه القطعة لما فيها من الحكم العظيمة والمواعظ الجسيمة، ورواه الحاكم أيضاً ومن طريقه البيهقي كلاهما عن يحيى بن سعيد السعدي البصري حدثنا عبد الملك بن جريج عن عطاء بن عبيد بن عمر عن أبي ذر بنحوه، ويحيى بن سعيد فيه كلام، والحديث منكر من هذه الطريق، وحديث إبراهيم بن هشام هو المشهور"، وقال الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار (٣٩١/٢): "وقد خالف ابن حبان في هذا الحديث أبو الفرج بن الجوزي فأورده في كتابه الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام، ولا شك أنه تكلم فيه أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث"، وقال الهيثمي في موارد الضمآن ح (٩٤): "فيه إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال أبو حاتم وغيره: كذاب"، وقال الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ح (١٣٥٢): "ضعيف جداً".

(٦) الضحاك بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص التميمي السعدي، أبو بحر البصري، لقب بالأحنف لحنف في رجله، كان ثقة مأموناً قليل الحديث، روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي ذر رضي الله عنه، تابعي مخضرم أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره، توفي سنة (٦٧) هـ، وقيل (٧٢) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٩٣/٧)، والتاريخ الكبير (٥٠/٢)، والكنى والأسماء (١٤٦/١) للإمام مسلم].

(٧) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٩٥/٧)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (١٣)، والإمام أحمد في الزهد (٢٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢٤/٢٤)، وابن الجوزي في ذم الهوى (٤٤)، وابن أبي جرادة في

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله: ((حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإنه من حاسب^(١) نفسه في الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضى والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والحسرة^(٢)))^(٣).

وقال الحسن: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يَفْجَأُ الشيء يعجبه، فيقول: والله إني لأشتهيك^(٤) وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء، فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا؟ مالي ولهذا^(٥)؟ والله لا أعود إلى هذا أبداً، إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته^(٦)، لا يأمن شيئاً حتى يلقي الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه، وفي بصره، وفي لسانه، وفي جوارحه، مأخوذ [عليه]^(٧) في ذلك كله"^(٨).

وقال مالك بن دينار^(٩): "رحم الله عبداً قال لنفسه: ألسنت صاحبة^(١٠) كذا، ألسنت

بغية الطلب (٣/١٣٠٥).

(١) في (ش): [حساب].

(٢) في (ع): [والخسارة].

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (١٦)، والبيهقي في الشعب برقم (١٠٦٠١)، وابن عساكر في

تاريخ دمشق (٤٤/٣٢١).

(٤) في (ع): [لأشتهينك].

(٥) (٣٨/ب).

(٦) في (ش): [نفسه].

(٧) زيادة من النسختين، وسقطت من الأصل، ولا بد منها بدليل السياق.

(٨) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (٣٠٧)، وابن أبي شيبه برقم (٣٥٢٠٩)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس

برقم (١٧)، وأبو نعيم في الحلية (٢/١٥٧)، وابن الجوزي في ذم الهوى (٤١)، والمزي في تهذيب الكمال

(٣١/٥٣١).

(٩) مالك بن دينار أبو يحيى البصري، مولى لامرأة من بني ناجية بن سامة بن لؤي، تابعي ثقة قليل الحديث، روى

عن أنس بن مالك، والحسن، وعطاء، وروى عنه جعفر بن سليمان، توفي سنة (١٢٧) هـ، وقيل (١٢٣) هـ

[انظر: الطبقات الكبرى (٧/٢٤٣)، والتاريخ الكبير (٧/٣٠٩)، والجرح والتعديل (٨/٢٠٨)].

(١٠) في (ش): [صاحب]، وعند ابن أبي الدنيا كالأصل.

صاحبة^(١) كذا، ثم زمها، ثم خطمها، ثم ألزمها كتاب الله عز وجل وكان لها قائداً^(٢). وقد مثلت النفس مع صاحبها بالشريك في المال، وكما أنه لا يتم مقصود الشركة من الربح^(٣) إلا بالمشاركة على ما يفعل الشريك أولاً، ثم [بمطالعة]^(٤) بما يعمل، والإشراف عليه ومراقبته ثانياً، ثم بحاسبته ثالثاً، ثم يمنعه من الخيانة - إن اطلع عليه - رابعاً، فكذلك النفس: يشارطها أولاً على حفظ الجوارح السبعة التي حفظها هو رأس المال، والربح بعد ذلك، فمن ليس له رأس مال فكيف يطمع^(٥) في الربح!

وهذه الجوارح السبعة - [و]^(٦) هي: العين والأذن والفم واللسان والفرج واليد والرجل^(٧) - هي مركب^(٨) العطب والنجاة، فمنها عطب من عطب بإهمالها وعدم حفظها، ونجا من نجا بحفظها ومراعتها، فحفظها أساس كل خير، وإهمالها أساس كل شر، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [سورة النور: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]، وقال: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة الإسراء: ٥٣]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ

(١) في (ش): [صاحب]، وعند ابن أبي الدنيا كالأصل.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٢٠/٥٦).

(٣) في (ش): [بالربح].

(٤) في الأصل: [يطالعه]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٥) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [يطن].

(٦) سقطت من الأصل وهي في النسختين، ولا بد منها ليستقيم السياق.

(٧) ممن ذكرها الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (النسخة المسندة) (٩٥٤/٢)، والغزالي في إحياء علوم الدين

(٣٩٥/٤)، ولكن قالوا بدل (الفم) (البطن).

(٨) في (ع): [مراكب].

نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴿١٨﴾ [سورة الحشر: ١٨].

فإذا شارطها على حفظ هذه الجوارح؛ انتقل منها إلى مطالعتها والإشراف عليها ومراقبتها، فلا يهملها، فإنه إن أهملها لحظة رتعت^(١) في الخيانة ولا بد، فإن تمادى على الإهمال؛ تمادت في الخيانة، حتى يذهب رأس المال كله، فمتى أحس بالنقصان انتقل إلى المحاسبة، فحينئذ يبين^(٢) له حقيقة الربح والخسران، فإذا أحس بالخسران وتيقنه؛ استدرك منها ما يستدركه الشريك من شريكه، من الرجوع عليه بما مضى، والقيام بالحفظ والمراقبة في المستقبل، ولا مطمع^(٣) له في فسخ^(٤) عقد الشركة مع هذا الخائن والاستبدال بغيره، فإنه لا بد له منه فليجتهد في مراقبته ومحاسبته وليحذر من إهماله.

ويعينه^(٥) على هذه المراقبة والمحاسبة: معرفته أنه كلما اجتهد فيها اليوم؛ استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها^(٦) اليوم اشتد عليه الحساب غداً. ويعينه عليها^(٧) أيضاً: معرفته أن ربح هذه التجارة سكنى الفردوس، والنظر إلى وجه الرب سبحانه، وخسارتها: دخول النار، والحجاب عن الرب تعالى، فإذا تيقن هذا؛ هان عليه الحساب اليوم.

فحق على الحازم المؤمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه، و[التضييق]^(٨) عليها في حركاتها^(٩)، وسكناتها، وخطواتها، فكل نفس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا خطر^(١٠) لها، يمكن أن يُشتري به كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد^(١١)،

(١) في (ع): [وقعت].

(٢) في النسختين: [يتبين].

(٣) في (ش): [يطمع].

(٤) (٣٩/أ).

(٥) في (ع): [وتعينه].

(٦) في (ع): [أهمله]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [أهملها] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٧) في (ع): [عليه].

(٨) في الأصل: [والتضييق]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٩) في (ع): [حركاتها].

(١٠) الخطر في اللغة ارتفاع المنزلة والمكانة [انظر: العين (٢١٣/٤)]، وجمهرة اللغة (٥٨٨/١)، وتهذيب اللغة

فإضاعة هذه الأنفاس؛ أو اشتراء^(٢) صاحبها بما ما يجلب هلاكه؛ خسران عظيم لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس وأحمقهم وأقلهم عقلاً، وإنما يظهر له حقيقة هذا الخسران يوم التغابن:

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ

أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [سورة آل عمران: ٣٠].

ف

ومحاسبة النفس نوعان^(٣) : نوع قبل العمل، ونوع بعده، فأما النوع الأول: فهو أن يقف عند أول همته وإرادته، ولا يبادر بالعمل؛ حتى يتبين له رجحانه على تركه^(٤).

قال الحسن: "رحم الله عبداً وقف عند همّه^(٥)، فإن كان لله مضى، وإن كان لغيره تأخر"^(٦).

وشرح هذا بعضهم فقال: "إذا تحركت النفس لعمل من الأعمال وهمّ به^(٧)؛ وقف أولاً ونظر: هل ذلك العمل مقدور له أم غير مقدور ولا مستطاع؟ فإن لم يكن مقدوراً لم يُقدّم عليه، وإن كان مقدوراً وقف وقفه أخرى ونظر: هل فعله خير له^(٨) من تركه، أو^(٩) تركه خير له^(١٠) من فعله؟ فإن كان الثاني تركه ولم يُقدّم عليه، وإن كان الأول وقف وقفه ثالثة ونظر: هل الباعث عليه إرادة وجه الله وثوابه، أم إرادة الجاه^(١١) والثناء والمال من

[١٠١/٧].

(١) منقول بنصه من إحياء علوم الدين (٣٩٤/٤).

(٢) في (ش): [إذا اشترى].

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (٣٩٦/٤).

(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٤٠٠/٤).

(٥) في (ع): [همته].

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة برقم (٣٥١٨٧)، والبيهقي في الشعب برقم (٧٢٧٩).

(٧) في النسختين زيادة: [العبد].

(٨) سقط قوله: [له] من (ع).

(٩) في (ع): [أم].

(١٠) سقط قوله: [له] من النسختين.

(١١) (٣٩/ب).

المخلوق؟ فإن كان الثاني لم يقدم عليه - وإن أفضى به إلى مطلوبه - لئلا تعتاد النفس الشرك^(١)، ويخف عليها العمل لغير الله، فبقدر ما يخف عليها ذلك؛ يثقل عليها العمل لله، حتى يصير أثقل شيء عليها، وإن كان الأول وقف وقفة أخرى ونظر: هل هو معان عليه، وله أعوان يساعدونه وينصرونه إذا^(٢) كان العمل محتاجاً إلى ذلك أم لا؟ فإن لم يكن له أعوان؛ أمسك عنه، كما أمسك النبي ﷺ عن الجهاد بمكة حتى صار له شوكة وأنصار^(٣)، وإن وجده معاناً عليه؛ فليقدم عليه فإنه منصور، ولا يفوت النجاح إلا من فوات خصلة من هذه الخصال، وإلا فمع اجتماعها لا يفوته النجاح^(٤).

فهذه أربع مقامات^(٥) يحتاج إلى محاسبة نفسه عليها قبل الفعل، فما كل ما يريد العبد فعله يكون مقدوراً له، ولا كل ما يكون مقدوراً له يكون فعله خيراً له^(٦) من تركه، ولا كل ما يكون فعله خيراً من تركه يفعل الله، ولا كل ما يفعله^(٧) الله يكون معاناً عليه، فإذا حاسب نفسه على ذلك؛ تبين له ما يقدم عليه، وما يحجم عنه.

ف

النوع الثاني: محاسبة النفس بعد العمل، وهو ثلاثة أنواع:

-
- (١) في (ش): [الترك].
- (٢) في (ع): [إن].
- (٣) قال تعالى ﴿الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [سورة النساء: ٧٧]، فقد أمر النبي ﷺ بكف اليد، وذكر ابن حبان في الثقات (١١٢/١) أن الأنصار لما بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة قال له عباس بن عباد: لئن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيفنا قال: ((إني لم أؤمر بذلك))، وروى الطبري (١٧١/٥) عن قتادة قال: "كان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يومئذ بمكة قبل الهجرة تسرعوا إلى القتال، فقالوا لنبي الله ﷺ: ذرنا نتخذ معاول فنقاتل بها المشركين بمكة، فنهاهم نبي الله ﷺ عن ذلك، قال: ((لم أؤمر بذلك))."
- (٤) لم أقف عليه.
- (٥) في (ع): [مقالات]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [مقامات] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.
- (٦) سقط قوله: [له] من (ع).
- (٧) في (ع): [يفعل].

أحدها: محاسبتها على طاعة قصرت فيها من حق الله، فلم [توقعها]^(١) على الوجه الذي ينبغي.

وحق الله في الطاعة بمراعاة ستة أمور -قد تقدمت- وهي: الإخلاص في العمل، والنصيحة لله فيه، ومتابعة الرسول فيه^(٢)، وشهود مشهد الإحسان فيه، وشهود منّة الله عليه فيه، وشهود تقصيره فيه بعد ذلك كله، فيحاسب نفسه:^(٣) هل وفى هذه المقامات حقها؟ وهل أتى بها في هذه الطاعة؟.

الثاني: أن يحاسب نفسه على عمل كان تركه خيرا له من فعله.

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد: لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة فيكون راجحا فيه؟ أو أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به^(٤)؟.

ف

وأضرّ ما عليه الإهمال، وترك المحاسبة، والاسترسال وتسهيل الأمور وتمشيتها، فإن هذا يؤول به إلى/ ^(٥)الهلاك، وهذه حال أهل الغرور، يغمض عينيه^(٦) عن العواقب، ويمشي الحال، ويتكل على العفو، فيمهل^(٧) محاسبة النفس^(٨)، والنظر في العاقبة، وإذا فعل ذلك سهّل عليه مواقف الذنوب، وأنس بها، وعسّر عليه فطامها، ولو حضره رشده لعلم أن الحميّة أسهل من الفطام وترك المألوف والمعتاد.

قال ابن أبي الدنيا: "حدثني رجل من قریش -ذكر أنه من ولد طلحة ابن عبيدالله^(٩) -

(١) في الأصل: [يوقعها]، والصواب ما أثبتته من النسختين، ليستقيم الكلام.

(٢) سقط قوله: [فيه] من (ش).

(٣) في (ش) زيادة: [على].

(٤) في (ش): [فيه].

(٥) (٤٠/أ).

(٦) في (ش): [نفسه]، وفي (ع): [عينه].

(٧) في النسختين: [فيهمل].

(٨) في النسختين: [نفسه].

(٩) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن بني تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، أبو محمد القرشي،

قال: كان توبة بن الصمة^(١) بالرقّة^(٢) وكان محاسباً لنفسه فحسب يوماً فإذا هو ابن ستين سنة، فحسب أيامها فإذا هي [إحدى]^(٣) وعشرون ألف يوم و[ستمائة]^(٤) يوم، فصرخ وقال: يا ويلتي^(٥)! ألقى ربي [بإحدى]^(٦) وعشرين ألف ذنب [وستمائة ذنب]^(٧)، كيف وفي كل يوم آلاف من الذنوب، ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت، فسمعوا قائلاً يقول: يا لك ركضة إلى الفردوس الأعلى"^(٨).

وجماع ذلك: أن يحاسب نفسه أولاً على الفرائض؛ فإن تذكر فيها نقصا تداركه؛ إما بقضاء أو إصلاح، ثم يحاسبها على المناهي؛ فإن عرف أنه ارتكب منها شيئاً؛ تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية، ثم يحاسب نفسه على الغفلة؛ فإن كان قد غفل عما خلق له؛ تداركه بالذكر والإقبال على الله، ثم يحاسبها بما تكلم به، أو مشت إليه رجلاه، أو بطشته يده، أو سمعته أذناه، ماذا أردت بهذا؟ ولمن فعلته^(٩)؟ وعلى أي وجه فعلته^(١٠)؟ ويعلم أنه

صحابي جليل، أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، دافع عن النبي ﷺ يوم أحد ووقاه بيده حتى شلت فقال ﷺ ((أوجب طلحة))، فكان أبو بكر رضي الله عنه كلما ذكر أحد بكى ثم قال: "ذاك كله يوم طلحة"، قتل يوم الجمل سنة (٣٦) هـ، وله (٦٤) سنة، وقيل (٦٢) سنة [انظر: الطبقات الكبرى (٢١٤/٣)، والتاريخ الكبير (٣٤٤/٤)، والكنى والأسماء (٧١٧/٢) للإمام مسلم].

(١) توبة بن الصمة قال ابن حبان: من عباد أهل الكوفة وزهادهم، وهذه الرواية تدل أنه كان بالرقّة وتوفي بها، ولم تذكر كتب التراجم من أخباره أو تاريخ وفاته شيئاً [انظر: الثقات (١٥٦/٨)، وصفة الصفوة (١٩٦/٤)].

(٢) مدينة في شمال شرق سوريا حالياً، تقع على جانب الفرات الشرقي، سميت بذلك لأنها أرض لينة التراب ينسبط عليها الماء إذا زاد، وجمعها رفاق، وتمتاز بأنها أرض زراعية، لخصوبة تربتها، ولتوفر الماء فيها، والمدينة قديمة فتحها عياض بن غنم رضي الله عنه عام (١٨) هـ صلحاً [انظر: المنتظم (٢٤٨/٤)، ومعجم البلدان (٥٨/٣)، وموسوعة المدن العربية (١٩٢)].

(٣) في الأصل و(ش): [أحد]، والصواب ما أثبتته من (ع)، ليستقيم الكلام.

(٤) في الأصل و(ع): [خمسمائة]، والصواب ما أثبتته من (ش)، لأن عدد أيام (٦٠) سنة (٢١٦٠٠) على اعتبار أن السنة (٣٦٠) يوماً.

(٥) في (ع): [يا ويلتي]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [يا ويلتي] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٦) في الأصل و(ش): [بأحد]، والصواب ما أثبتته من (ع)، ليستقيم الكلام.

(٧) زيادة من (ش)، لا بد منها ليطابق عدد الذنوب عدد الأيام المذكورة.

(٨) أخرجه في محاسبة النفس برقم (٧٦)، كما أخرجه من طريقه البيهقي في الشعب برقم (٩٤٤)، والخطيب في المنتخب من كتاب الزهد والرقائق برقم (٧٠).

(٩) في (ع): [فعلتيه].

لا بد أن ينشر لكل حركة وكلمة منه ديوانان، ديوان لمن فعلته؟ وكيف فعلته؟ فالأول سؤال عن الإخلاص، والثاني سؤال عن المتابعة^(٢)، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الحجر: ٩٢-٩٣]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾^(٣) [سورة الأعراف: ٦-٧]، وقال تعالى: ﴿لَنَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٨].

فإذا سُئِلَ الصادقون وحوسبوا على صدقهم؛ فما الظن بالكاذبين! قال مقاتل^(٤): "يقول تعالى: أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الله الصادقين -يعني به النبيين- عن تبليغ الرسالة"^(٥)، وقال مجاهد: "يسأل المبلّغين^(٦) المؤدّين عن الرسل"^(٧)، يعني: هل بلغوا عنهم؟ كما يسأل الرسل هل بلغوا عن الله؟

والتحقيق: أن الآية تتناول هذا وهذا، فالصادقون: هم الرسل والمبلّغون عنهم، فيسأل الرسل/^(٨) عن تبليغ رسالاته، ويسأل المبلّغين عنهم عن تبليغ ما بلغتهم الرسل، ثم يسأل الذين بلغتهم الرسالة: ماذا أجابوا المرسلين؟ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا

(١) في (ع): [فعلتيه].

(٢) ذكره ابن القيم بتفصيل أكثر في أول الباب الأول، وأما الغزالي في الإحياء (٤/٤٠٠) فقد ذكر ثلاثة دواوين وهي: لم؟ وكيف؟ ولمن؟.

(٣) الآية في (ع) إلى قوله سبحانه: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾.

(٤) مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، أبو الحسن البلخي، من كبار المفسرين، تركه أهل الحديث، روى عن الضحاك، وعطاء، وروى عنه عبد الرزاق وعلي بن الجعد، توفي بالبصرة سنة (١٥٠) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٧٣/٧)، ومعرفة الثقات (٢/٢٩٥)، والجرح والتعديل (٨/٣٥٤)].

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٣/٣٦).

(٦) في (ع): [المتلقين]، وفي تفسير مجاهد كالأصل.

(٧) انظر: تفسير مجاهد (٢/٥١٤)، وذكره البخاري تعليقا في صحيحه (٦/٢٧٣٤)، ووصله ابن حجر في التعليل (٥/٣٦١)، وأخرجه الطبري (٢١/١٢٦).

(٨) (٤٠/ب).

أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿سورة القصص: ٦٥﴾.

قال [أبو العالية]^(١): "كلمتان يسأل عنهما^(٢) الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتكم المرسلين؟"^(٣)، فيسأل عن المعبود، وعن العبادة.

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [سورة التكاثر: ٨] قال محمد بن جرير: "يقول تعالى ثم ليسألكم الله عز وجل عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم فيه، من أين وصلتم إليه، وفيه^(٤) أصبتموه، وماذا عملتم به"^(٥)، وقال قتادة: "إن الله سائل^(٦) كل عبد عما استودعه من نعمته وحقه"^(٧).

والنعيم المسؤول عنه نوعان:

نوعٌ أخذ من حله؛ وصرف في حقه، فيسأل عن شكره.

(١) في جميع النسخ: [قتادة] والصواب ما أثبتته، لعدة أدلة: أولاً: أن ابن القيم نسبه إلى أبي العالية في المدارج (٣٤١/١) وطريق المحررتين (٤٤٣)، ثانياً: نسبه إلى أبي العالية شيخه شيخ الإسلام في الرد على الإحنائي (٢٠٢)، وجامع الرسائل (٢٤/١)، ومجموع الفتاوى (١٠٥/١٥) (١٧٢/١٩)، والنبوات (٩١)، ثالثاً: هكذا نسبه إلى أبي العالية بقية المفسرين: فقد أخرجه الطبري (٦٧/١٤) عن أبي العالية بلفظ: "يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون، وعما أجابوا المرسلين"، وهكذا نسبه إليه المارودي في النكت (١٧٤/٣)، والسمعاني (١٥٣/٣)، وابن عطية (٣٧٥/٣)، وابن الجوزي (٤١٩/٤)، والخازن (٧٥/٤)، وأبو حيان (٤٥٤/٥)، وابن كثير (٥٥٠/٤)، رابعاً: أنني لم أقف عليه عن قتادة بعد طول بحث وتفتيش، وأبو العالية هو رفيع بن مهران البصري الرياحي مولاهم، أعتقته امرأة من بني رياح سائبة، يضع نفسه حيث يشاء، أسلم بعد وفاة النبي ﷺ بعامين، ثقة من كبار التابعين روى عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وابن عباس، وروى عنه قتادة وأبو خلدة، توفي سنة (٩٣) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (١١٢/٧)، والطبقات (٢٠٢) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٣٢٦/٣)].

(٢) في (ع): [عنهم].

(٣) في (ش) زيادة: [كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ﴾] وهي تكرار لما سبقه من ذكر الآية.

(٤) في (ع): [فيما]، وفي الطبري كالأصل.

(٥) تفسير الطبري (٢٨٥/٣٠).

(٦) في (ش): [يسأل]، وفي الطبري وغيره كالأصل.

(٧) أخرجه المروذي في الورع برقم (٦٣٥)، والطبري (٢٨٩/٣٠)، ولفظ: "سائل كل ذي نعمة فيما أنعم عليه" عند المروذي في الورع برقم (٦٣١)، والطبري (٢٨٩/٣٠).

ونوعٌ أخذ بغير حله، وصرف في غير حقه، فيسأل عن مستخرجه ومصرفه.
 فإذا كان العبد مسئولاً ومحاسباً على كل شيء، حتى على (١) سمعه وبصره وقلبه - كما
 قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦] -
 فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب.

وقد دلَّ على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
 وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [سورة الحشر: ١٨] يقول تعالى: لينظر أحدكم ما قدم ليوم
 القيامة من الأعمال: من (٢) الصالحات التي تنجيه؟ أم (٣) من السيئات التي توبقه؟، قال قتادة:
 "ما زال ربكم يقرب الساعة حتى جعلها كغد" (٤).

والمقصود أن صلاح القلب: بمحاسبة النفس، وفساده: بإهمالها والاسترسال معها.

ف

وفي محاسبة النفس عدة مصالح:

منها: الاطلاع على عيوبها، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم (٥) يمكنه إزالته، فإذا اطلع
 على عيوبها؛ مقتها في ذات الله.
 وقد روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء (٦) قال: ((لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت
 الناس في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أشد مقتاً)) (٧).

(١) سقط قوله: [على] من (ش).

(٢) في (ش): [أهي من]، وفي (ع): [أمن].

(٣) في (ع): [أو].

(٤) أخرجه الطبري (٥٢/٢٨).

(٥) في (ع): [كيف]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [لم] في حاشية (ع) كنسخة أخرى.

(٦) عويمر بن زيد - وقيل بن مالك - بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل،
 أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن، ومن فقهاء الصحابة، روى عنه أم الدرداء وأبو إدريس الخولاني وعطاء بن
 يسار، نزل الشام وبها توفي سنة (٣١) هـ، وقيل (٣٢) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٩١/٧)، والطبقات
 (٣٠٣) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٧٦/٧)].

(٧) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (١٣٤)، كما أخرجه عبد الرزاق برقم (٢٠٤٧٣)، وابن أبي شيبة برقم
 (٣٤٥٨٤)، وأبو داود في الزهد برقم (٢٤٢)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٢٣)، والطبري

وقال مطرف بن عبدالله^(١) : "لولا ما أعلم من نفسي لقليت الناس"^(٢).
 وقال مطرف في دعائه بعرفة: "اللهم لا ترد الناس لأجلي"^(٣).
 وقال بكر بن عبدالله المزني^(٤) : "لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم
 لولا أي كنت فيهم"^(٥)/ (٦).
 وقال أيوب السخيتاني^(٧) : "إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل"^(٨).
 ولما احتضر سفيان الثوري^(١) دخل عليه أبو الأشهب^(٢) وحماد بن سلمة^(٣) فقال له

-
- (١/٢٥٨)، وابن بطة في إبطال الحيل (١٨)، والخطابي في العزلة (٦١)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢١١)،
 والبيهقي في الأسماء والصفات برقم (٦١٩)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/١٩٨)، وابن عبد البر في جامع
 بيان العلم وفضله (٢/٤٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٧/١٧٣).
 (١) مطرف بن عبد الله بن الشخير بن عوف بن كعب بن وقدان بن الحريش العامري، أبو عبد الله البصري، ثقة
 من كبار التابعين، روى عن عثمان وعلي وأبي بن كعب وأبي ذر، وروى عنه ثابت البناني وقتادة، توفي سنة
 (٨٧) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٧/١٤١)، والطبقات (٩٧) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٧/٣٩٦)].
 (٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٢٤)، وأخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/١٤٤)، وأبو
 نعيم في الحلية (٢/٢١٠) بلفظ: "لو حمدت نفسي لقليت الناس"، وأخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (٢٩٧)،
 وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٨/٣٠١) بلفظ: "لو كنت راضيا عن نفسي لقليتكم، ولكني لست عنها
 براضي"، قال الميداني في مجمع الأمثال (٢/٢٠٧): "يعني أنه لا يعيرهم ذنبا هو مرتكبه".
 (٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٢٥).
 (٤) بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال المزني، أبو عبد الله البصري، تابعي ثقة مأمون الحديث، روى عن ابن عمر
 وأنس، وروى عنه قتادة وحميد الطويل، توفي سنة (١٠٨) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٧/٢٠٩)، والتاريخ
 الكبير (٢/٩٠)، ومعرفة الثقات (١/٢٥١) للعجلي].
 (٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٧/٢٠٩)، وابن معين في تاريخه (رواية الدوري) (٤/٣١٦)، وابن أبي الدنيا في
 محاسبة النفس برقم (٢٦)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم برقم (٢٦٩٧)، والبيهقي في الشعب برقم
 (٨٢٥٣).
 (٦) (٤١/أ).
 (٧) أيوب بن أبي تميمة كيسان السخيتاني، أبو بكر البصري، مولى عنزة، تابعي ثقة كثير العلم، روى عن أنس بن
 مالك الحسن وابن سيرين، وروى عنه ابن سيرين والثوري وشعبة، توفي سنة (١٣١) هـ وله (٦٣) سنة [انظر:
 الطبقات الكبرى (٧/٢٤٦)، والطبقات (٢١٨) لابن خياط، والتاريخ الكبير (١/٤٠٩)].
 (٨) أخرجه ابن معين في تاريخه (رواية طهمان) (طبع باسم من كلام أبي زكريا في الرجال) (٨١)، والفسوي في
 المعرفة والتاريخ (٢/١٤٠)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٢٨)، وابن عدي في الكامل (١/٦٢)،
 وأبو نعيم في الحلية (٣/٦)، والبيهقي في الشعب برقم (٨٢٥٠)، وابن الجوزي في المنتظم (٧/٢٨٨).

حماد: "يا أبا عبد الله أليس قد أمنت مما كنت تخافه، وتقدم على من ترجوه وهو أرحم الراحمين"، فقال: "يا أبا سلمه أيطمع^(٤) لمثلي أن ينجو من النار؟" قال: "إي والله إني^(٥) لأرجو ذلك"^(٦).

وذكر^(٧) عن [مستلم]^(٨) بن سعيد الواسطي^(٩)، قال: أخبرني حماد بن جعفر بن

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبد الله من بني ثور بن عبد مناة، أبو عبد الله الثوري الكوفي، ولد سنة (٩٧) هـ، كان ثقة مأموناً كثير الحديث، من كبار الفقهاء، روى عن أبيه وأبي إسحاق السبيعي، وروى عنه ابن المبارك وشعبة ويحيى القطان، توفي بالبصرة مستخفياً سنة (١٦١) هـ وله (٦٨) سنة [انظر: الطبقات الكبرى (٣٧١/٦)، والتاريخ الكبير (٩٢/٤)، ومعرفة الثقات (٤٠٧/١) للعجلي].

(٢) جعفر بن حيان العطاردي البصري، كان ثقة، روى عن الحسن، وأبي رجاء العطاردي، وروى عنه ابن المبارك ويحيى بن سعيد، توفي بالبصرة سنة (١٦٥) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٢٧٤/٧)، والطبقات (٢٢٢) لابن خياط، والتاريخ الكبير (١٨٩/٢)].

(٣) حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري، مولى بني تميم، ثقة كثير الحديث، روى عن ثابت البناني وقاتدة، وروى عنه ابن المبارك ووكيع ويحيى بن سعيد، توفي سنة (١٦٧) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٢٨٢/٧)، والتاريخ الكبير (٢٢/٣)، والكنى والأسماء (٣٨١/١) للإمام مسلم].

(٤) في النسختين: [أتطمع].

(٥) سقط قوله: [إني] من (ع).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٣٠).

(٧) في النسختين زيادة [ابن زيد] وليست في الأصل، وقد راجعت إسناده الرواية فوجدت الراوي عن مستلم بن سعيد هو عبد الله بن المبارك، وليس فيه ذكر لابن زيد، إلا أن يكون المراد رواي القصة الأعلى وهو جعفر بن زيد، وهذا يصح لو اقتصر على ذكره فحسب، أما وقد ذكر الإسناد بعده فقال: "عن مستلم بن سعيد" فلا يصح ورود هـ، وأما قوله (وذكر) فيحتمل أنه مبنى للمعلوم؛ فيعود على الإمام أحمد، وهو المذكور في أول الفصل بقوله: "وقد روى الإمام أحمد"، لكن لم أقف على هذه القصة عند أحمد، بل نقلها ابن الجوزي في المنتظم (١٧٠/٦) من طريق عبد الله بن أحمد عن أبيه، فإن صحَّ هذا فيكون ابن القيم قد اختصر إسناده أحمد الذي أشار إليه ابن الجوزي.

(٨) في جميع النسخ [مسلم] والصواب ما أثبتته من كافة الأصول التي خرَّجت الرواية، وكذا في كتب الرواة فهي تذكر رواية مستلم بن سعيد عن حماد بن جعفر كما في التاريخ الكبير (٢٣/٣)، والجرح والتعديل (١٣٤/٣)، وقد فرَّق بينهما الخطيب في تالي تلخيص المتشابه (٨٩/١) وبين أن مسلم بن سعيد هو مولى ابن الحضرمي وهو متقدم على مستلم بن سعيد الواسطي.

(٩) مستلم بن سعيد أبو سعيد الثقفي الواسطي، وهو ابن أخت منصور بن زاذان، صدوق قليل الحديث، روى عن منصور بن زاذان وخبيب بن عبد الرحمن، وروى عنه عبد الحميد بن سليمان ويزيد بن هارون، كان كثير

زيد^(١)، أن أباه^(٢) أخبره، قال: خرجنا في غزوة^(٣) إلى كابل^(٤)، وفي الجيش: صلة بن أشيم^(٥)، فنزل الناس عند العتمة، فصلّوا ثم اضطجع،^(٦) فقلت: لأرمقن عمله، فالتمس غفلة الناس، حتى إذا قلت: هدأت العيون؛ وثب فدخل غيضة قريباً منا، ودخلت على أثره، فتوضاً ثم قام يصلي، وجاء أسد حتى دنا منه، فصعدت في شجرة، فتراه التفت^(٧)! أو عدّه جرّوا! فلما سجد قلت: الآن يفترسه، فجلس ثم سلّم، ثم قال: أيها السبع اطلب الرزق من مكان آخر، فولّي^(٨) وإن له لزيئراً^(٩)، أقول^(١٠): تصدّع الجبال منه، قال: فما زال كذلك يصلي، حتى كان عند الصبح جلس^(١١)، فحمد الله بحماد لم أسمع بمثلها، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، ومثلي يجترى^(١٢) أن يسألك الجنة! قال: ثم^(١) رجع وأصبح

الصلاة والصيام [انظر: التاريخ الكبير (٦٧/٨)، وتاريخ واسط (٨٤)، والجرح والتعديل (٤٣٨/٨)].

(١) حماد بن جعفر بن زيد العبدي البصري، لين الحديث، روى عن أبيه وعطاء السلمي وشهر بن حوشب، وروى عنه مستلم بن سعيد [انظر: التاريخ الكبير (٢٣/٣)، والجرح والتعديل (٤٣/٣)، والكمال (٢٣٩/٢)].

(٢) جعفر بن زيد العبدي، ثقة روى عن أنس وعن أبيه، وروى عنه ابنه وصالح المري وسلام بن مسكين وحماد بن زيد [انظر: التاريخ الكبير (١٩١/٢)، والجرح والتعديل (٤٨٠/٢)، والثقات (١٣٣/٦) لابن حبان].

(٣) في (ش): [غزاة].

(٤) بضم الباء، مدينة معروفة هي عاصمة أفغانستان حالياً، وإليها يُنسب جمع من العلماء فيقال: الكابلي، فتحها عبدالله بن عامر رحمته عام (٤٤) هـ [انظر: الطبقات (٢٠٦) لابن خياط، ومعجم البلدان (٤٢٦/٤)، وتحفة النظار في غرائب الأمصار (٤٣٧/١)].

(٥) صلة بن أشيم العدوي من بني عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة، أبو الصهباء البصري، ثقة من كبار التابعين، له فضل وورع، روى عن ابن عباس، وروى عنه الحسن وحמיד بن هلال، قتل بكابل سنة (٧٥) هـ في ولاية الحجاج بن يوسف [انظر: الطبقات الكبرى (١٣٤/٧)، والتاريخ الكبير (٣٢١/٤)، ومعرفة الثقات (٤٦٩/١) للعجلي].

(٦) في (ع) زيادة: [قال].

(٧) في (ش) زيادة: [إليه].

(٨) في (ع): [فتولى].

(٩) في (ع): [زيئراً].

(١٠) سقط قوله: [أقول] من (ش).

(١١) في النسختين: [فجلس].

(١٢) في (ع): [لا يجترى]، فيكون من باب الخبر لا التعجب.

كأنه بات على الحشايا، وأصبحت وبى^(٢) من الفترة^(٣) شيء الله به عالم^(٤).
وقال يونس بن عبيد^(٥): "إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير؛ ما أعلم أن في نفسي منها واحدة"^(٦).

وقال محمد بن واسع^(٧): "لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إلي"^(٨)^(٩).
وذكر ابن أبي الدنيا عن الجلد بن أيوب^(١٠) قال: "كان راهب في بني إسرائيل في صومعة منذ ستين سنة، فأتي في منامه فقيل له: إن فلانا الإسكاف^(١١) خير منك ليلة بعد ليلة، فأتى الإسكاف فسأله عن عمله، فقال: إني رجل لا يكاد يمر بي أحد إلا ظننت أنه في

(١) في (ش) زيادة: [نام و].

(٢) في (ع): [وفي].

(٣) في (ش): [الفرع].

(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (٨٦٣)، والفسوي في المعرفة والتاريخ (٤٨/٢)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٣٣)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة برقم (٨٣٦)، وأبو نعيم في الحلية (٢٤٠/٢)، والبيهقي في الشعب برقم (٣٢١١).

(٥) يونس بن عبيد بن دينار مولى عبد القيس، أبو عبد الله العبدي، ثقة كثير الحديث، روى عن الحسن وابن سيرين، وروى عنه الثوري وشعبة، توفي سنة (١٣٩) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٢٦٠/٧)، والطبقات (٢١٨) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٤٠٢/٨)].

(٦) أخرجه ابن الجعد برقم (١٣٣٥)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٣٤)، وأبو نعيم في الحلية (١٨/٣)،

(٧) محمد بن واسع الأزدي، أبو بكر البصري، روى عن سالم بن عبد الله ومحمد بن سيرين، وروى عنه إسماعيل بن مسلم وحماد بن سلمة، توفي سنة (١٢٣) هـ [انظر: التاريخ الكبير (٢٥٥/١)، ومعرفة الثقات (٢٥٥/٢)، والجرح والتعديل (١١٣/٨)].

(٨) في (ش): [يجلس إلى الأرض].

(٩) أخرجه المروزي في الورع برقم (٤٩٥)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٣٧)، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٩/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٥٨/٥٦).

(١٠) الجلد بن أيوب البصري روى عن معاوية بن قرة، وروى عنه جرير بن حازم والثوري وحماد بن سلمة، ضعفه الإمام أحمد [انظر: العلل ومعرفة الرجال (٣٩١/١)، والتاريخ الكبير (٢٥٧/٢)، والجرح والتعديل (٥٤٨/٢)].

(١١) كل صانع يسمى إسكاف عند العرب [انظر: جمهرة اللغة (١١٩٤/٢)، وتهذيب اللغة (٤٧/١٠)، ومعجم مقاييس اللغة (٩٠/٣)].

الجنة وأنا في النار، ففضل على الراهب بإزرائه على نفسه" (١).
 وذكر داود الطائي (٢) عند بعض الأمراء فأتوا عليه، فقال: "لو يعلم الناس بعض ما نحن/ (٣) عليه؛ ما ذلّ لنا لسان بذكر خير (٤) أبداً" (٥).
 وقال أبو حفص (٦): "من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات، ولم يخالفها في جميع الأحوال، ولم يجرها إلى مكروهاها في سائر أوقاته، كان مغروراً، ومن نظر إليها باستحسان شيء منها، فقد أهلكها" (٧).
 فالنفس داعية إلى المهالك، معينة للأعداء، طامحة إلى كل قبيح، متبعة لكل سوء، فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة.
 فالنعمة التي لا خطر لها: الخروج منها، والتخلص من رقها، فإنها أعظم حجاب بين العبد وبين الله، وأعرف الناس بها (٨) أشدهم إزراً عليها، ومقتاً لها.
 قال ابن أبي حاتم (٩) في تفسيره: حدثنا علي بن [الحسين] (١) [حدثنا] (٢) [المقدمي] (٣)

-
- (١) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٤١).
 (٢) داود بن نصير الطائي، أبو سليمان الكوفي، روى عن حبيب بن أبي عمرة والأعمش، وروى عنه ابن عيينه ومصعب بن المقدام، توفي سنة (١٦٠) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٦/٣٦٧)، والتاريخ الكبير (٣/٢٤٠)، والكنى والأسماء (١/٣٧١) للإمام مسلم].
 (٣) (٤١/ب).
 (٤) في (ش): [خيراً].
 (٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٤٢)، وأبو نعيم في الحلية (٧/٣٥٩)، وفي أوله قال: "إنما نتبلغ بستره بين خلقه ولو يعلم الناس... فذكره".
 (٦) أبو حفص عمرو - وقيل: عمر - بن سلمة - وقيل: ابن سالم، وقيل: ابن مسلم - النيسابوري، من قرية كورداباذ على باب مدينة نيسابور باتجاه بخارى، صحب عبيد الله بن مهدي الأبيوردي وعليها النصراباذي ورافق أحمد بن خضرويه البلخي، وكان أحد الأئمة والسادة، تخرج به عامة الأعلام النيسابوريون، كشاه بن شجاع الكرمان، وأبو عثمان سعيد بن إسماعيل النيسابوري، توفي سنة (٢٧٠) هـ وقيل (٢٦٧) هـ وقيل (٢٦٤) هـ [انظر: طبقات الصوفية (١٠٣)، وحلية الأولياء (١٠/٢٢٩)، وتاريخ بغداد (١٢/٢٢٠)].
 (٧) انظر: الرسالة القشيرية (١٨٩).
 (٨) في (ع): [لها].
 (٩) عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي، أبو محمد الرازي، ولد سنة (٢٤٠) هـ، روى عن أبيه وأبي سعيد الأشج ويونس بن عبد الأعلى، وروى عنه ابن عدي وأبو أحمد الحاكم، له (الجرح

المقدمي^(٣) حدثنا عامر بن صالح^(٤) عن أبيه^(٥) عن ابن عمر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((اللهم اغفر لي ظلمي وكفري، فقال قائل: يا أمير المؤمنين هذا الظلم، فما بال الكفر؟ قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤]))^(٦).

قال: وحدثنا يونس بن حبيب^(٧) حدثنا أبو داود^(٨) عن الصلت بن دينار^(٩) حدثنا

والتعديل) و(التفسير) و(العلل) توفي سنة (٣٢٧) هـ [انظر: طبقات الحنابلة (٥٥/٢)، وميزان الاعتدال (٣١٥/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٦٣/١٣)].

(١) في الأصل و(ش) [الحسن] والصواب ما أثبتته من (ع)، لأن علي بن الحسين هو الذي يروي عن المقدمي لا علي بن الحسن كما في الجرح والتعديل (١٨/٥)، وهكذا في أسانيد تفسير ابن أبي حاتم، ثم ابن أبي حاتم دائما ما يسأل شيخه علي بن الحسين في كتابيه الجرح والتعديل والعلل، ويروي عنه في التفسير، وعلي هو ابن الحسين بن الجنيد، أبو الحسن الرازي النخعي المالكي، ونُسب لمالك لأنه جمع حديث مالك، روى عن النفيلى والمعافى بن سليمان، وروى عنه العقيلي وابن أبي حاتم وقال: كتبنا عنه، وهو صدوق ثقة [انظر: الجرح والتعديل (١٧٩/٦)، وفتح الباب في الكنى والألقاب (٢٣٦) لابن مندة، وتاريخ دمشق (٣٥٤/٤١)].

(٢) زيادة من النسختين، هي الصواب، وسقطت من الأصل، ولم أقف على مقدمي اسمه علي بن الحسين.

(٣) في (ش): [المقدسي]، وهو خطأ، والمقدمي هو محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم، يكنى أبا عبد الله، مولى ثقيف، روى عن حماد بن زيد وجعفر بن سليمان، وروى عنه أبو حاتم وأبو زرعة الرازيين، بصري ثقة توفي بالبصرة سنة (٢٣٤) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٠٨/٧)، والتاريخ الكبير (٤٩/١)، والجرح والتعديل (٢١٣/٧)].

(٤) عامر بن صالح بن رستم المزني، أبو بكر الخزاز، بصري ثقة، روى عن أبيه وأيوب بن موسى وروى عنه المقدمي وعمر بن عبد الوهاب [انظر: التاريخ الكبير (٤٥٩/٦)، ومعرفة الثقات (١٣/٢)، والجرح والتعديل (٣٢٤/٦)].

(٥) صالح بن رستم المزني، أبو عامر الخزاز، روى عن الحسن وابن أبي مليكة، وروى عنه ابنه عامر ويحيى القطان والنضر بن شميل [انظر: التاريخ الكبير (٢٨٠/٤)، ومعرفة الثقات (٤٦٣/١)، والكنى والأسماء (٥٨٣/١) للإمام مسلم].

(٦) لم أقف على الأثر في تفسير ابن أبي حاتم عند هذه الآية، ونسبه لابن أبي حاتم أيضاً السيوطي في الدر المنثور (٤٥/٥)، والشوكاني في فتح القدير (١١١/٣)، وانظر: قوت القلوب (٩١/١) لأبي طالب المكي، وإحياء علوم الدين (٢٨٨/١).

(٧) يونس بن حبيب بن عبد القاهر بن عبد العزيز بن عمر العجلي، أبو بشر الأصبهاني، ثقة روى عن أبي داود الطيالسي وعامر بن إبراهيم، وروى عنه ابن أبي عاصم وابن أبي حاتم توفي سنة (٢٧٦) هـ [انظر: الجرح والتعديل (٢٣٧/٩)، وطبقات الحديثين بأصبهان (٤٤/٣)، وسير أعلام النبلاء (٥٩٦/١٢)].

(٨) سليمان بن داود البصري، أبو داود الطيالسي، مولى قريش، أصله من فارس، ثقة روى عن شعبة وحماد بن

[عقبة] (٢) بن صهبان الهنائي (٣) قال سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ الآية [سورة فاطر: ٣٢] فقالت: ((يا بني هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات؛ فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ، شهد (٤) له رسول الله ﷺ بالجنة والرزق، وأما المقتصد؛ فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه؛ فمثلي ومثلكم)) فجعلت نفسها معنا (٥).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجاج (٦) حدثنا شريك (١) عن عاصم (٢) عن أبي وائل (٣)

سلمة، وروى عنه أحمد بن حنبل وعلي بن عبد الله، توفي سنة (٢٠٣) هـ [انظر: التاريخ الكبير (٤/١٠)، ومعرفة الثقات (٤٢٧/١)، والكنى والأسماء (٣٠٢/١) للإمام مسلم].

(١) الصلت بن دينار أبو شعيب البصري، المعروف بأبي شعيب المجنون الأزدي الهنائي، لين الحديث، روى عن ابن سيرين وعبد الله بن شقيق، وروى عنه الثوري ووكيع، توفي سنة (١٦٠) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٢٧٩/٧)، والتاريخ الكبير (٤/٣٠٤)، والجرح والتعديل (٤/٤٣٧)].

(٢) في النسخ الثلاث [بقية]، والصواب ما أثبتته من الطيالسي برقم (١٤٨٩)، ولم أقف على رجل اسمه بقية بن صهبان الهنائي.

(٣) في (ش): [الهنائي]، وفي (ع): [العبدى]، وهو عقبة بن صهبان الحُدَّاني الراسي الهنائي الأزدي البصري، تابعي ثقة، روى عن عثمان رضي الله عنه وعبد الله بن مغفل رضي الله عنه، وروى عنه قتادة والصلت بن دينار، توفي في أول ولاية الحجاج على العراق [انظر: الطبقات الكبرى (١٤٦/٧)، والتاريخ الكبير (٦/٤٣١)، ومعرفة الثقات (١٤٢/٢)].

(٤) في (ع): [يشهد].

(٥) لم أقف عليه في تفسير ابن أبي حاتم، وقد عزاه له السيوطي في الدر المنثور (٢٧/٧)، وأخرجه الطيالسي في مسنده برقم (١٤٨٩)، والطبراني في الأوسط برقم (٦٠٩٤)، والحاكم في المستدرک برقم (٣٥٩٣)، والثعلبي في تفسيره (١٠٩/٨)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢٨٨/٥)، قال الطبراني: "لم يرو هذا الحديث عن عقبة بن صهبان إلا أبو شعيب الصلت بن دينار تفرد به معتمر"، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في التلخيص: "الصلت قال النسائي: ليس بثقة، وقال أحمد: ليس بالقوي"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٧/٧): "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الصلت بن دينار وهو متروك"، وضعفه البوصيري في إتحاف الخيرة برقم (٥٧٩٤) لضعف الصلت بن دينار، والألباني في الضعيفة برقم (٣٢٣٥)، كما أخرجه الصنعاني في تفسيره (١٣٥/٣) من طريق معمر عن صاحب له عن عقبة بن صهبان، ولعل هذا صاحب غير المسمى في الإسناد هو الصلت بن دينار.

(٦) في (ع): [الحجاج]، وهو حجاج بن محمد الأعور، أبو محمد المصيصي، أصله من ترمذ، ثقة روى عن ابن جريج وشعبة، وروى عنه الإمام أحمد والدورقي، توفي ببغداد سنة (٢٠٦) هـ [انظر: التاريخ الكبير (٢/٣٨٠)،

عن مسروق^(٤) قال: دخل عبد الرحمن^(٥) على أم سلمة^(٦) فقالت: سمعت النبي ﷺ يقول: ((إن من أصحابي لمن لا يراني بعد أن أموت أبداً))، فخرج عبد الرحمن من عندها مذعوراً، حتى دخل على عمر^(٧) فقال له: اسمع ما تقول أمك! فقام عمر حتى أتاهها؛ فدخل عليها،

ومعرفة الثقات (٢٨٥/١)، والكنى والأسماء (٧٤١/٢) للإمام مسلم.

(١) شريك بن عبد الله بن أبي شريك الحارث بن أوس بن الحارث، أبو عبد الله النخعي، ولد ببخارى سنة (٩٥) هـ، ولي قضاء الكوفة، ثقة روى عن الأعمش وسلمة بن كهيل، وروى عنه ابن المبارك ووكيع، توفي بالكوفة سنة (١٩٧) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٧٨/٦)، والطبقات (١٦٩) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٢٣٧/٤)].

(٢) عاصم بن سليمان أبو عبد الرحمن الأحول، مولى بني نعيم، تابعي ثقة روى عن أنس بن مالك وحفصة بنت عمر، وروى عنه الثوري وشعبة، توفي سنة (١٤١) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣١٩/٧)، والتاريخ الكبير (٤٨٥/٦)، ومعرفة الثقات (٨/٢)].

(٣) شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، ولد في السنة الأولى من الهجرة، أدرك النبي ﷺ ولم يره، ثقة كثير الحديث، من كبار التابعين، روى عن عمر بن الخطاب وابن مسعود، وروى عنه الأعمش وعاصم الأحول، توفي سنة (٨٣) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٩٦/٦)، والطبقات (١٥٥) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٢٤٥/٤)].

(٤) مسروق بن الأجدع عبد الرحمن بن مالك بن أمية بن عبد الله الهمداني، أبو عائشة الكوفي، ثقة من كبار التابعين، روى عن أبي بكر بن عمر وعمر بن الخطاب، وروى عنه النخعي والشعبي، توفي سنة (٦٢) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٩٦/٦)، والتاريخ الكبير (٣٥/٨)، ومعرفة الثقات (٢٧٣/٢)].

(٥) هو عبد الرحمن بن عوف كما ورد مصرّحاً باسمه في روايات أخرى في مسند الإمام أحمد ح (٢٦٥٣٢) (٢٦٦٦٣) (٢٦٧٣٦)، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي، أبو محمد الزهري، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن، صحابي جليل، أسلم قديماً، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، شهد بدرًا وما بعدها، أحد العشرة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة، توفي بالمدينة سنة (٣٢) هـ، وله (٧٥) سنة [انظر: الطبقات الكبرى (١٢٤/٣)، والطبقات (١٥) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٢٣٩/٥)].

(٦) أم المؤمنين هند بنت أبي أمية سهيل بن المغيرة بن عبد الله بن بن عمر مخزوم، أم سلمة بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أسلمت قديماً، وهاجرت المجرتين إلى الحبشة، توفي عنها أبو سلمة عام (٤) هـ، وبعد انتهاء عدتها زوجها لرسول الله ﷺ ابنها سلمة بن عبد الله، هي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً، توفيت عام (٦١) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٨٦/٨)، والطبقات (٢٠) لابن خياط، والثقات (٤٣٩/٣) لابن حبان].

(٧) في (ع) زيادة: [بن الخطاب].

فسألها، ثم قال: أنشدك بالله^(١)، أمنهم أنا؟ قالت: لا، ولن أبريء بعدك أحداً^(٢).
 فسمعت شيخنا^(٣) يقول: "إنما أرادت [أي] ^(٤) لا أفتح عليّ هذا الباب/ ^(٥)، ولم تُرد
 أنك وحدك البريء^(٦) من ذلك دون سائر الصحابة"^(٧).
 ومقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله سبحانه في
 لحظة واحدة أضعافاً أضعاف ما يدنو به بالعمل^(٨).

[و]^(٩) ذكر ابن أبي الدنيا عن مالك بن دينار قال: "إن قوماً من بني إسرائيل كانوا في
 مسجد لهم في يوم عيد، فجاء شاب حتى قام على باب المسجد، فقال: ليس مثلي يدخل
 معكم، أنا صاحب كذا، أنا صاحب كذا، يُزري على نفسه، فأوحى الله إلى نبيهم: أن فلانا

(١) في (ش): [الله].

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ح(٢٦٧٠١) بهذا الإسناد، وبأسانيد أخرى ح(٢٦٥٣٢) (٢٦٦٦٣)
 (٢٦٧٣٦)، وإسحاق بن راهوية في مسنده ح(١٩١٣)، ويعقوب بن شيبه في مسند عمر (٩١)، والبرقي في
 مسند عبد الرحمن بن عوف ح(٤٦)، وأبو يعلى ح(٧٠٠٣)، والطبراني في الكبير ح(٧١٩)، وابن عساكر في
 تاريخ دمشق (٢٦٨/٣٥)، وابن عبد البر في الاستيعاب (٨٤٩/٢)، والذهبي في السير (٨٢/١)، قال
 البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ح(٢١٢٧): "رواه أبو بكر بن أبي شيبه بسند رجاله ثقات"، وقال في موضع
 آخر ح(٧٥٤٢): "رواه أبو يعلى الموصلي ورواته ثقات"، وقال الهيثمي في المجمع (٧٢/٩): "رواه البزار،
 ورجاله رجال الصحيح"، وقال الألباني في الصحيحة ح(٢٩٨٢): "وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال
 الشيخين".

(٣) شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الحضر بن محمد بن علي بن تيمية
 الحراني، ولد بخران سنة (٦٦١) هـ، ثم رحل مع أبيه إلى دمشق، فنبغ وبرع في العلم، حتى أصبح بحرا في العلوم،
 له (منهاج السنة النبوية)، و(اقتضاء الصراط المستقيم)، و(درء تعارض العقل والنقل) وغيرها، أُوذي وسجن
 عدة مرات، وتوفي مسجوناً في قلعة دمشق سنة (٧٢٨) هـ [انظر: معجم المحدثين (٢٥) للذهبي، وفوات
 الوفيات (١٢٤/١)، وذيل طبقات الحنابلة (٤٩٣/٤)].

(٤) في الأصل: [أي]، والصواب ما أثبتته من (ش)، ليستقيم الكلام، وفي (ع): [أن].

(٥) (٤٢/أ).

(٦) في (ش): [لبرئ]، وفي (ع): [الذي].

(٧) لم أقف عليه من كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

(٨) في (ع): [من العمل].

(٩) زيادة من النسختين، وليست في الأصل.

صديق" (١).

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن الحسن بن [أتش] (٢) حدثنا منذر (٣) عن وهب :
 "أن رجلاً سائحاً عبد الله عز وجل سبعين سنة، ثم خرج يوماً، فقلل عمله، وشكا (٤) إلى الله
 منه، واعترف بذنبه، فأتاه آت من الله فقال: إن مجلسك هذا أحب إليّ (٥) من عملك فيما
 مضى من عمرك" (٦).

قال أحمد: وحدثنا عبد الصمد (٧) حدثنا أبو هلال (٨) حدثنا قتادة قال: قال عيسى بن

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٣١)، وأخرجه ابن المقرئ في معجمه برقم (٢٩٠)، وابن
 الجوزي في ذم الهوى (٤٤).

(٢) في جميع النسخ [أنس] والصواب ما أثبتته لعدة أدلة: أولاً: هكذا ورد اسمه في جميع كتب الرجال كالتاريخ
 الكبير للبخاري (٦٨/١)، والثقات (٦٩/٩)، والإكمال (١٢/١)، وغيرها، فهو محمد بن الحسن بن أتش
 اليماني الصنعاني، أبو عبد الله الأبنائي، روى عن همام وجعفر بن سليمان، وروى عنه أحمد بن حنبل وأحمد
 بن صالح، وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه النسائي، ثانياً: جاء في الجرح والتعديل (٢٢٦/٧) وتهذيب الكمال
 (٥٦/٢٥) إثبات روايته عن المنذر بن النعمان، وجاء في الإكمال (١٢/١) وتهذيب الكمال (٥٦/٢٥) رواية
 الإمام أحمد عنه، ثالثاً: هكذا ورد اسمه في رواية هذا الأثر عند أبي داود في الزهد برقم (١٥) من طريق محمد
 بن الحسن بن أتش عن المنذر عن وهب، رابعاً: أن الإمام أحمد صرح باسمه في مواضع من كتبه كالأسماء
 والكنى (١٣١)، والعلل (١٢٣/٢، ١٥٠)، والمسند ح (٥٥٤٤)، والزهد (٩٢، ١٠١) فلعله تصحف اسمه في
 هذا الموضع من كتاب الزهد (١٥).

(٣) منذر بن النعمان الأفيطس ثقة روى عن وهب، وروى عنه معتمر بن سليمان وعبد الرزاق [انظر: التاريخ
 الكبير (٣٥٨/٧)، والجرح والتعديل (٢٤٢/٨)، وتاريخ الإسلام (٦٤٣/٩)].

(٤) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [وبكى].

(٥) في (ش): [إلى الله].

(٦) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (٥٣)، وأبو داود في الزهد برقم (١٥).

(٧) عبد الصمد بن عبد الوارث بن سعيد التنوري، أبو سهل البصري، مولى بلعنير، ثقة روى عن شعبة وهشام
 الدستوائي، وروى عنه علي بن المديني وبندار، توفي سنة (٢٠٦) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٠٠/٧)،
 والتاريخ الكبير (١٠٥/٦)، والجرح والتعديل (٥٠/٦)].

(٨) محمد بن سليم الراسي، أبو هلال البصري، ولم يكن منهم بل كان نازلاً فيهم، وهو مولى سامة بن لؤي من
 قريش، روى عن الحسن وابن سيرين، وروى عنه ابن المبارك وعبد الرحمن بن مهدي، توفي سنة (١٦٧) هـ،
 ونقل ابن أبي حاتم عن أبي بكر الأثرم قال: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل عن أبي هلال -يعني الراسي-
 قال: "قد احتمل حديثه إلا إنه يخالف في حديث قتادة، وهو مضطرب الحديث عن قتادة [انظر: الطبقات
 الكبرى (٢٧٨/٧)، والتاريخ الكبير (١٠٥/١)، والجرح والتعديل (٢٧٣/٧)].

مريم: "سلوني^(١) فإني لين القلب صغير عند نفسي"^(٢).

وذكر أحمد أيضا: عن عبدالله بن رباح الأنصاري^(٣) قال: "كان داود ينظر أغمض حلقة في بني إسرائيل، فيجلس بين ظهرانيهم، ثم يقول: يا رب مسكين بين ظهراني مساكين"^(٤).

وذكر عن عمران بن [مسلم]^(٥) [القصور]^(٦) قال: قال موسى: "يا رب أين أبغيك؟ قال: أبغني عند المنكسرة قلوبهم، فإني أدنو منهم كل يوم باعاً، ولولا ذلك أهدموا"^(٧).

(١) في (ع): [لينوا]، وكتب ما جاء هنا في الأصل: [سلوني] في حاشية (ع) كنسخة أخرى، وفي كتاب الزهد كالأصل.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (٥٩).

(٣) عبد الله بن رباح الأنصاري، أبو خالد المدني ثم البصري، تابعي كانت الأنصار تفقهه، روى عن أبي قتادة وعمران بن حصين، وروى عنه ثابت البناني وأبو عمران الجوني، قتل في ولاية ابن زياد على يد الخوارج [انظر: الطبقات الكبرى (٢١٢/٧)، والتاريخ الكبير (٤٩/٥)، والجرح والتعديل (٥٢/٥)].

(٤) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٧٣) لكن بإسناد ليس فيه عبد الله بن رباح الأنصاري، فقد رواه أحمد من طريق يزيد بن هارون أنبأنا الجريري عن أبي السليل قال: كان داود النبي عليه السلام يدخل المسجد فينظر أغمض... فذكره، وهكذا ذكره بهذا الإسناد ابن القيم في عدة الصابرين (١٤٧)، وعزاه لأحمد من رواية أبي السليل السيوطي في الدر المنثور (١٧٠/٧)، والجريري هو أبو مسعود سعيد بن إياس الجريري، وقد روى عنه يزيد بن هارون كما في التاريخ الكبير (٤٥٦/٣)، وأبو السليل هو ضريب بن نقيير بن سمير القيسي، وقد روى عنه الجريري كما في الجرح والتعديل (٤٧٠/٤).

(٥) في النسخ الثلاث [موسى]، والصواب ما أثبتته من كتاب الرجال، فإسناده في كتاب الزهد من طريق: سيار قال: حدثنا جعفر عن عمران القصير قال: قال موسى بن عمران... فذكره، فسيار هو ابن حاتم العنزي أبو سلمة البصري، وهو يروى عن جعفر بن سليمان الضبعي كما في الجرح والتعديل (٢٥٧/٤)، وتهذيب الكمال (٣٠٧/١٢)، وجعفر بن سليمان الضبعي يروي عن عمران بن مسلم القصير كما في تهذيب الكمال (٤٤/٥)، فالصواب أنه عمران بن مسلم لا عمران بن موسى، كما وقع في النسخ الثلاث.

(٦) في الأصل [الغضير] والصواب ما أثبتته من النسختين، ومن الزهد للإمام أحمد، وهو عمران بن مسلم أبو بكر القصير البصري المنقري، ثقة روى عن الحسن وابن سيرين، وروى عنه الثوري ويحيى القطان [انظر: الطبقات الكبرى (٢٦٩/٧)، والتاريخ الكبير (٤١٩/٦)، والجرح والتعديل (٣٠٤/٦)]، وهكذا عزاه لأحمد من رواية موسى القصير شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٤١/٥)، والدر المنثور (٥٣٩/٣).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في الزهد (٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٧٧/٦)، كما أخرجه في (٣٦٤/٢) لكنه من طريق جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار، وقد أخرجه ابن أبي الدنيا في الهم والحزن برقم (٦١) من طريق عبد الله بن شاذب قال: "قال داود النبي ﷺ: أي رب أين ألقاك؟ قال: تلقاني عند المنكسرة قلوبهم"، وأخرج أبو نعيم

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: "أن رجلا من بني إسرائيل تعبد ستين سنة في طلب حاجة، فلم يظفر بها، فقال في نفسه: والله لو كان فيك خير لظفرت بحاجتك، فأتى في منامه فقيل له: رأيت إزراءك على نفسك تلك الساعة؛ فإنه خير من عبادتك^(١) تلك السنين^(٢)" (٣).

ومن فوائد محاسبة النفس: أنه يعرف بذلك حق الله عليه، ومن لم يعرف حق الله عليه فإن عبادته لا تكاد تجدي عليه، وهي قليلة المنفعة جداً.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج^(٤) حدثنا جرير بن حازم^(٥) عن وهب قال: "بلغني أن نبي الله موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع، فقال: يا رب ارحمه فيني قد رحمته، فأوحى الله إليه: لو دعاني حتى [تنقطع]^(٦) قواه؛ ما استجبت له حتى ينظر في حقي عليه"^(٧).

في الحلية (٣٢/٤) من طريق وهب بن منبه قال: "قال داود عليه السلام: إلهي أين أجذك إذا طلبتك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم من مخافتي"، وأخرج البيهقي في الزهد الكبير برقم (٣٦٧) من طريق عبد الكريم بن رشيد: "أن داود عليه السلام قال: أي رب أين ألقاك؟ قال: تلقاني عند المنكسرة قلوبهم".

(١) في حاشية (ع) كنسخة أخرى: [عبادة].

(٢) في (ع): [الستين].

(٣) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (٩٧، ٣٧٤) بنحوه، عن وهب بن منبه بلفظ: "نبئت أنه كان فيمن قبلكم رجل تعبد زمانا، ثم طلب إلى الله عز وجل حاجة، وصام لله سبعين سبتا، يأكل كل سبت إحدى عشرة تمرة، فطلب حاجته إلى الله فلم يعطها، فلما مضى ذلك ولم يعطها، أقبل على نفسه فقال: من قبلك أتيت، لو كان فيك خير أعطيت حاجتك، ولكن ليس فيك خير، فنزل إليه ملك من ساعته، فقال: يا ابن آدم إن ساعتك هذه التي أزريت على نفسك فيها؛ خير من عبادتك، قد أعطاك الله حاجتك"، كما أخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٦٠)، وابن أبي شيبة برقم (٣٥١٧٤)، والبيهقي في الشعب برقم (٧١٧٠)، وابن الجوزي في ذم الهوى (٤٦).

(٤) حجاج بن محمد الأعور سبق التعرف به قريباً.

(٥) جرير بن حازم بن زيد الجهضمي الأزدي العتكي، أبو النضر البصري، ثقة روى عن ابن سيرين والحسن، وروى عنه الثوري وابن المبارك، توفي سنة (١٧٠) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٢٧٨/٧)، والتاريخ الكبير (٢١٣/٢)، والجرح والتعديل (٥٠٤/٢)].

(٦) في الأصل: [ينقطع]، والصواب ما أثبتته من (ع)، ليستقيم الكلام، وفي (ش): [ينقطع].

(٧) أخرجه الإمام أحمد في كتاب الزهد (٨٨).

فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله على العبد، فإن ذلك يورثه مقت نفسه، والإزراء عليها، ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح^(١) له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه، و[اليأس]^(٢) من نفسه، وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته^(٣) ورحمته، فإن من حقه^(٤) أن يطاع ولا يُعصى، وأن يُذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يكفر.

فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عليه؛ عِلِمَ عِلْمٍ يَقِينٍ أَنَّهُ غَيْرُ مُؤَدٍّ لَهُ^(٥) كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، وأنه إن أحيل على عمله هلك، فهذا محل نظر أهل المعرفة بالله وبنفوسهم، وهذا الذي أيسهم^(٦) من أنفسهم، وعلّق رجاءهم كله بعفو الله ورحمته. وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بضد ذلك، ينظرون في حقهم على الله، ولا ينظرون في حق الله عليهم، ومن ههنا انقطعوا عن الله، وحجبت قلوبهم عن معرفته ومحبته، والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره، وهذا غاية جهل الإنسان بربه وبنفسه^(٧).

فمحاسبة النفس هو نظر العبد في حق الله عليه أولاً، ثم نظره: هل قام به كما ينبغي ثانياً؟ وأفضل الفكر الفكر في ذلك، فإنه يُسَيِّر القلب إلى الله، ويطرحه بين يديه ذليلاً، خاضعاً، منكسراً كسراً فيه جبره، ومُفْتَقِراً فقراً فيه غناه، وذليلاً ذلاً فيه عزه، ولو عمل من الأعمال ما عساه أن يعمل، فإذا فاته هذا؛ فالذي فاته من البر أفضل من الذي أتى به. وقال الإمام أحمد^(٨) : حدثنا ابن القاسم^(١) حدثنا صالح المري^(٢) عن أبي عمران

(١) (٤٢/ب).

(٢) في الأصل [التأسي] والصواب ما أثبتته من النسختين، بدليل ما بعده وهو قوله: [وهذا الذي أيسهم من أنفسهم].

(٣) سقط قوله: [ومغفرته] من (ش).

(٤) في (ش): [حق الله].

(٥) في (ش): [لعبوديته].

(٦) في (ش): [أوجب إيسهم].

(٧) أشار ابن القيم إلى هذه المسألة في عدة الصابرين (١٢١)، وشفاء العليل (١١٥).

(٨) في كتاب الزهد (٦٧)، كما أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥٥/٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٨/٦١) كما أخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم برقم (٢٢٢٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٧/٦١) من طريق إبراهيم بن حبيب، نا داود بن رشيد؛ قال: بلغني عن أبي عمران الجوني أنه قال: أوحى الله... فذكره.

الجوني^(٣) عن أبي الجلد^(٤) أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام: "إذا ذكرتني فاذكري وأعضاؤك تنتفض"^(٥)، وكن عند ذكرى خاشعاً مطمئناً، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك، وإذا قمت بين يدي؛ فقم مقام العبد الحقير الذليل، وذم نفسك فهي أولى بالذم، وناجني حين تناجيني بقلب وجلٍ ولسان صادق".

ومن فوائد نظر العبد في حق الله عليه أنه لا يتركه^(٦) ذلك يُدَلُّ^(٧) بعمل^(٨) أصلاً، كائناً ما كان، ومن دلَّ^(٩) بعمله لم يصعد إلى الله، كما ذكر الإمام أحمد^(١٠) عن بعض أهل

-
- (١) هاشم بن القاسم الكنانى الليثي، ويقال: التميمي، أبو النضر الخرساني ثم البغدادي، لُقِّبَ بـ"قيصر"، ثقة روى عن شعبة وشيبان، وروى عنه ابن أبي شيبة والإمام أحمد، توفي سنة (٢٠٧) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٣٣٥/٧)، والتاريخ الكبير (٢٣٥/٨)، والجرح والتعديل (١٠٥/٩)].
- (٢) في (ش): [المزني]، وهو خطأ، وهو صالح بن بشير المري، أبو بشر البصري القاص، منكر الحديث روى عن الحسن وثابت البناني، وروى عنه الحجاج بن المنهال ويحيى بن يحيى، توفي سنة (١٧٦) هـ [انظر: الطبقات (٢٢٣) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٢٧٣/٤)، والجرح والتعديل (٣٩٥/٤)].
- (٣) عبد الملك بن حبيب الجوني من الأزدي، أبو عمران الكندي البصري، ثقة روى عن عمران بن الحصين رضي الله عنه وأنس رضي الله عنه، وروى عنه ابن عون وشعبة، توفي سنة (١٢٨) هـ وقيل (١٢٩) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٢٣٨/٧)، والطبقات (٢١٥) لابن خياط، والتاريخ الكبير (٤١٠/٥)].
- (٤) جيلان بن فروة -ويقال: ابن أبي فروة- الأسدي الجوني من الأزدي، أبو الجلد البصري، ثقة روى عن ، وروى عنه قتادة وأبي عمران الجوني، قال ابن أبي حاتم: "صاحب كتب التوراة ونحوها" [انظر: الطبقات الكبرى (٢٢٢/٧)، والتاريخ الكبير (٢٥١/٢)، والجرح والتعديل (٥٤٧/٢)]، وكتب ناسخ (ع) ما نصه: [لعله ابن أبي الجعد] وهو وهم منه، وفي كتاب الزهد كالأصل.
- (٥) في النسختين: [وأنت تنتفض أعضاؤك]، وهو كذا في كتاب الزهد.
- (٦) في (ع): [يترك].
- (٧) في (ع): [يدلي].
- (٨) في (ع): [بعمله].
- (٩) في (ش): [أدل]، وفي (ع): [أدلى].
- (١٠) في كتاب الزهد (٩٧)، من طريق سفيان الثوري عن رجل من أهل صنعاء عن وهب بن منبه أن رجلاً جاء إلى راهب من الرهبان فقال: يا راهب كيف ذكرك الموت؟ قال: ما أرفع قدماً ولا أضع قدماً إلا رأيت أبي قدمت، قال: فكيف دأب نشاطك في ذات الله عز وجل؟ قال: ما كنت أرى أن أحداً سمع بالجنة والنار؛ يأتي عليه ساعة لا يصلي فيها، قال الرجل: إني لأقوم في صلاتي... فذكره، كما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (٣٥١٦٧)، وهناد في الزهد برقم (٤٥٩)، وأبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم برقم (٢٠١٢).

العلم بالله^(١) أنه قال له رجل: "إني لأقوم في صلاتي، فأبكي حتى يكاد يثبت البقل من دموعي، فقال له: إنك إن تضحك وأنت معترف^(٢) لله^(٣) بخطيئتك؛ خير من أن تبكي وأنت مُدَلٌّ^(٤) بعملك، فإن صلاة المُدَلِّ^(٥) لا تصعد فوقه، فقال له: أوصني، قال: عليك بالزهد في الدنيا، وأن لا تنازعها أهلها، وأن تكون كالتحلة، إن أكلت أكلت طيباً، وإن وضعت وضعت طيباً، وإن وقعت على عود لم تضره ولم تكسره، وأوصيك بالنصح لله عز وجل نصح الكلب لأهله؛ فإنهم يجيعونه ويطردونه؛ ويأبى إلا أن ينصحهم ويحوطهم^(٦)".

ومن ههنا أخذ الشاطبي^(٧) بحلّله قوله^(٨):

وقد قيل: كن كالكلب يُقصيه أهله وما^(٩) يأتلي في نصحهم متبذلاً^(١٠)

وقال الإمام أحمد: حدثنا سيار^(١١) حدثنا جعفر^(١٢) حدثنا الجريري^(١٣) قال: "بلغني

(١) سقط قوله: [بالله] من (ع).

(٢) في النسختين: [تعترف].

(٣) (أ/٤٣).

(٤) في (ش): [تدل]، وفي (ع): [تدلي].

(٥) في (ع): [المدلي].

(٦) في النسختين: [يحوطهم وينصحهم] بالتقديم والتأخير.

(٧) القاسم بن فيثرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي، أبو محمد الأندلسي المقرئ الضرير، ولد سنة

(٥٣٨) هـ، كان عالماً بالقراءات والنحو والتفسير، له (حز الأمان)، توفي بالقاهرة سنة (٥٩٠) هـ، وله (٥٥)

سنة [انظر: معجم الأدباء (٦١٨/٤)، وطبقات الفقهاء الشافعية (٦٦٥/٢)، وفيات الأعيان (٧١/٤)].

(٨) حزر الأمان (١٥).

(٩) في النسختين: [ولا]، وفي حزر الأمان كالأصل.

(١٠) في (ع): [متبذلاً].

(١١) سيار بن حاتم أبو سلمة العنزي، ثقة روى عن حماد بن زيد وجعفر بن سليمان، وروى عنه الإمام أحمد

وهارون بن عبد الله، توفي سنة (١٩٩) هـ وقيل (٢٠٠) هـ [انظر: التاريخ الكبير (١٦١/٤)، والكنى والأسماء

(٣٨٤/١) للإمام مسلم، والجرح والتعديل (٢٥٧/٤)].

(١٢) جعفر بن سليمان الضبعي، مولى بني الحريش، أبو سليمان البصري، ثقة كان يتشيع، روى عن ثابت البناني

والمعلّى بن زياد، وروى عنه ابن مهدي وعبد الرزاق توفي سنة (١٧٨) هـ [انظر: الطبقات الكبرى (٢٨٨/٧)،

والتاريخ الكبير (١٩٢/٢)، والكنى والأسماء (٣٧٠/١) للإمام مسلم].

(١٣) في (ش): [الجريري] وهو تصحيف، وهو سعيد بن إياس الجريري، أبو مسعود البصري، ثقة اختلط آخر

عمره، روى عن أبي العلاء وأبي نضرة، وروى عنه الثوري وشعبة، توفي (١٤٤) هـ [انظر: الطبقات الكبرى

أن رجلاً من بني إسرائيل كانت له إلى الله حاجة، فتعبد واجتهد، ثم طلب إلى الله حاجته، فلم ير نجاحاً، فبات ليله^(١) مزرباً على نفسه، وقال: يا نفس مالك لا تقضى حاجتك؟ فبات محزوناً قد أزرى على نفسه، وألزم الملامة نفسه، فقال: أما والله ما من قبل ربي أتيت، ولكن من قبل نفسي أتيت، فبات ليله مزرباً على نفسه، وألزم الملامة نفسه، فقضيت حاجته^(٢).

(١/٢٦١)، والتاريخ الكبير (٤٥٦/٣)، والكنى والأسماء (٧٧٨/٢) للإمام مسلم.

(١) في (ش): [ليلته].

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ والإسناد المذكورين، ونحوه ما أخرجه أحمد في الزهد (٩٧، ٣٧٤) من طريق عبد الصمد قال: أخبرنا مهدي حدثنا عبد الحميد صاحب الزيايدي عن وهب بن منبه قال: "نبئت أنه كان فيمن قبلكم رجل تعبد زماناً، ثم طلب إلى الله عز وجل حاجة، وصام لله سبعين سبباً، يأكل كل سبت إحدى عشرة تمرّة، فطلب حاجته إلى الله فلم يعطها، فلما مضى ذلك ولم يعطها، أقبل على نفسه فقال: من قبلك أتيت، لو كان فيك خير أعطيت حاجتك، ولكن ليس فيك خير، فنزل إليه ملك من ساعته، فقال: يا ابن آدم إن ساعتك هذه التي أزريت على نفسك فيها؛ خير من عبادتك، قد أعطاك الله حاجتك"، وأخرجه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس برقم (٦٠)، وابن أبي شيبة برقم (٣٥١٧٤)، والبيهقي في الشعب برقم (٧١٧٠)، وابن الجوزي في ذم الهوى (٤٦)، كلهم من طريق مهدي عن عبد الحميد صاحب الزيايدي عن وهب بن منبه.